الفصل الرابع

ظاهرة الأفغان العرب: الجذور التاريخية لتنظيم القاعدة وبدايات مقاومة المشروع الأمريكى(*)

- أولاً: تحديد مفهوم وظاهرة الأفغان العرب
- ثانيا: أسباب نشأة الأفغان العرب
- ثالثا: الرؤى الفكرية والخريطة التنظيمية للأفغان العرب
- رابعًا: ممارسات حركة الأفغان العرب وخريطة العنف السياسى
- خامسا: أبرز عمليات العنف السياسى للأفغان العرب فى البلدان العربية
- سادسًا: الأفغان العرب والولايات المتحدة الأمريكية

(*) نشرت كدراسة بعنوان «ظاهرة الأفغان العرب. . نحو تحديد علمى للمفهوم»، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، (سلسلة أوراق بحثية رقم ١٣٨، ٢٠٠٠م)، وقد نشرت بعد ذلك فى موقع Islamonline.net وتناقلتها ـ فى حينه ـ العديد من المواقع، وكذلك فى جريدة القاهرة المصرية.

obeikandl.com

تمهيـد

كانت بداية ظاهرة الأفغان العرب مع انتهاء الحرب الأفغانية ١٩٩٢م، حيث كان على المتطوعين العرب الذين اشتركوا فى الجهاد الأفغانى ضد الروس، والذين قدرت بعض المصادر أعدادهم بحوالى ستة آلاف ـ ليسوا كلهم ممن تحولوا فيما بعد أفغانًا عربًا بالطبع ـ أن يبحثوا عن ساحات أخرى غير أفغانستان؛ لتصريف الرصيد المعنوى والدينى، ولتوظيف الطاقات والخبرات الجهادية والقتالية فيها.

أما المصطلح المعبِّر عن الظاهرة فقد كان أسبق ظهوراً؛ إذ ظهر فى سياق الأحداث الجزائرية ١٩٩٠م، حيث تناقلت أجهزة الإعلام أخباراً عن أحداث عنف سياسى قامت بها مجموعات من الشباب الجزائرى تدرَّب فى أفغانستان، وأطلقت عليهم «الأفغان الجزائريون»، ثم تردَّد المفهوم فى بلاد أخرى مرتبطًا بأحداث عنف سياسى مماثلة، ومنذ ذلك الوقت والظاهرة مُثارة يرتفع الاهتمام بها مع كل حادثة من حوادث العنف السياسى، ثم يخبو مرة أخرى، غير أنها موجودة؛ ولذلك هى محل دراسة وموضع اهتمام من جهات متنوعة، الاهتمامات تبدأ من المراقبين والإعلاميين، وأجهزة الأمن، ورجال السياسة والاستراتيجية، بالإضافة إلى الباحثين والمحللين السياسيين. والجدير بالذكر أن هذا الاصطلاح فيما يبدو مقبولاً أو على الأقل لم يَسْعَ الأفغان العرب لنفى إطلاقه عليهم أو استخدامه فى التعبير عنهم، وهو ما يعطى المشروعية العلمية

فى استخدامه بوجه عام، دون تحميله بالضرورة بكل دلالات السياق الذى ظهر فيه.

ونقصد بالأفغان العرب «مجموعات من المجاهدين العرب من غير الأفغان الذين شاركوا فى الجهاد ضد السوفييت والحكم الشيوعى فى كابول، والذين اتجهوا لمقاتلة حكومات بلادهم أو حكومات دول أجنبية، بعد أن انتهت مبررات الجهاد الأفغانى، ويمكن تسميتهم «مجاهدون بلا حدود» أو «مقاتلون عبر الدول» أو «المقاتلون متعدِّدو الجنسيات»، وهم من الظواهر التى برزت بعد انتهاء الحرب، وكانوا أحد المتغيرات المهمة التى ساعدت على انهيار الاتحاد السوفييتى، وتطوَّرت فى إطار المتغيرات المتعلقة بما يطلق عليه ظاهرة العولمة؛ ولذلك فلم يقيموا اعتباراً يُذكر لظاهرة السيادة المرتبطة بفكرة الدولة القومية، ومن ثَم لا يعتبرون الحدود السياسية بين بلاد العالم الإسلامى أو حتى على المستوى العالمى حائلاً عن نصرة القضايا العادلة من وجهة نظرهم، ومن ثَم يتجهون لنصرة إخوانهم المسلمين عامة، ومن تيارات العنف خاصة الذين يتصورنهم يتعرضون للإبادة، أو واقعين تحت ضغوط خارجية أو داخلية، ويتجهون لمحاربة ما يرونه قوى الظلم والشر على المستوى العالمى.

فالأفغان العرب بالأساس خلاصة ما تبقَّى من المجاهدين غير الأفغان الذين احتضنتهم معسكرات بيشاور، وجلال آباد، وقندهار، ومعسكرات الحدود الباكستانية ـ الأفغانية ما بين ١٩٧٩ ـ ١٩٩٢م، ووفقًا لما يذهب إليه البعض فإن الأفغان العرب ـ رغم اختلاف جنسياتهم ـ يشكِّلون نوعًا من التنسيق فيما بينهم، يصل إلى ما يمكن تسميته «بالدولية الأممية» أو «الجيش الأممى»، وبالتالى أصبح لهم وجود مستقل عن دولهم، الأمر الذى يمكن معه إدراجهم فى دائرة الفواعل أو القوى فوق أو عبر القومية (Trans-NationalActors) فى إطار العلاقات والتفاعلات الدولية، والتى تملك إلى حد ما نوعًا من التأثير على هذا المستوى حسب التحديد العلمى لمفهوم القوى الشعبية الفاعلة على المستوى الدولى.

أولا: تأسيسًا على ما سبق يمكننا أن نحدد مفهوم وظاهرة الأفغان العرب ـ علميًا ـ وفق المؤشرات الثمانية التالية:

١ ـ الأفغان العرب ليسوا من المواطنين الأفغان بل من الشباب العربى والمسلم الذى التحق بالمجاهدين الأفغان، وبعد عودتهم إلى بلادهم ـ أو بلاد أخرى ـ اتجهوا إلى ممارسة أعمال العنف السياسى والقتال، مستفيدين من خبرتهم ومهاراتهم العسكرية التى اكتسبوها أثناء الحرب وبعدها فى أفغانستان، وبالتالى لا مجال للخلط بينهم وبين حركة طالبان أو أية مجموعة من مجموعات الأفغان..

٢ ـ ينتمى معظم الأفغان العرب إلى أجيال شابة، أى من فئة عمرية غالبًا ما تتراوح بين ٢٠ ـ ٣٥ عامًا، وهذا يعنى أنهم عندما ذهبوا إلى أفغانستان ربما كانت أعمارهم تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ عامًا، وهى مرحلة تكوين فكرى، حيث عاشوا سنوات عدة فى المعسكرات الأفغانية فى الثمانينيات ومطلع التسعينيات، وتدرَّبوا على الأسلحة الخفيفة والثقيلة، إلى جانب الخبرات العملية المتنوعة، إضافة إلى تلقينهم جرعات مكثَّفة من الأفكار التى تركز على استخدام القوة لإحداث التغيير المطلوب، وهذه إحدى الاستراتيچيات التى تستند إليها فلسفة الجماعات الإسلامية العنيفة. ويرى بعض علماء النفس أن هؤلاء الشباب عندما يقدمون على تنفيذ عملياتهم لا يراودهم أدنى شك فى أخلاقية عملهم، وأنه مبرر دينيًا؛ بسبب عمليات «غسيل الدماغ»، والتلقين الفكرى والمذهبى التى تعرضوا لها فى هذه السن المبكرة فى معسكرات التدريب الأفغانية وسط أجواء الحرب، فقد تشكَّلت عقولهم، ووجهت سلوكياتهم بناء على هذه العمليات التى قام بها، خاصة بعض قادة حركتى الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتين خاصة، وقادة الفكر السلفى الجهادى عامة.

٣ ـ تأسَّست البنية التنظيمية المنتجة لظاهرة الأفغان العرب على جانبين الأول: الجانب الإغاثى، فالمتطوعون العرب فى إطار الإغاثة «الإسلامية» شكَّلوا القطاع الأكبر، وقدَّموا العون للاجئين الأفغان المقيمين على الحدود الباكستانية ـ

الأفغانية، أو داخل أفغانستان ذاتها، ويقدِّر البعض عددهم فى بداية التسعينات بـ١٣ ألف متطوع من الأطباء والمهندسين والمدرسين وغيرهم، والثانى: الجانب القتالى يمثِّله مجموعات المتطوعين المقاتلين الذين دعَّموا الفصائل الأفغانية الذين جاءوا من معظم البلاد العربية، إضافة إلى متطوعين من أقليات إسلامية فى بلدان أوروبية وآسيوية، وقد تلقُّوا تدريبهم على أيدى عناصر تنتمى إلى الجماعات العنيفة فى بلدانها، وطبقًا لأحد التقديرات حول أعدادهم فإنها قد تصل إلى نحو ٦ آلاف شخص.

٤ ـ تلقَّت عناصر الأفغان العرب المقاتلة ثلاثة أنواع من الإعداد خلال سنوات الحرب الأفغانية وما تلاها، تتمثل فى إعداد عسكرى واستخباراتى وأيديولوجى، فعلى صعيد الإعداد العسكرى تلقّوا تدريبات تتصِّل بخوض حرب استنزاف، ما يتطلبه ذلك على مستوى العمليات العسكرية من القدرة على القيام بأعمال حرب العصابات، والمدن، والتفجيرات بمختلف مستوياتها، والقنص، والاغتيال، وغير ذلك، أما الإعداد الاستخباراتى فيتصِّل باستكمال الجوانب السابقة من استطلاع، ورصد، ومراقبة، واتصال، وتبادل معلومات، وتلقِّى التكليفات. أما الإعداد الفكرى والأيديولوجى فيركِّز على التلقين الدينى، وتوصيل مفاهيم ومضامين معينة، تتعلق بالتعامل مع الحكومات، والمجتمعات، والقوى السياسية والدينية المختلفة.

٥ ـ أسفرت خبرة الحرب الأفغانية عن آثار متعددة ترجمت الملامح الهيكلية للوليد الجديد ـ الأفغان العرب ـ من أهمها: من ناحية أولى: إقامة علاقات واسعة مع الجماعات الإسلامية العنيفة على مستوى عالمى، ومن ناحية ثانية: إقامة شبكة علاقات واسعة بأثرياء العرب الذين قاموا بتمويل عمليات القتال فى أفغانستان، ومن ناحية ثالثة: استخدام البيئة الأفغانية كفرصة للتدريب العسكرى، ومن ناحية رابعة: تطوير علاقات واسعة مع الحركات والأحزاب الأفغانية الذين وفَّر بعضهم مظلَّة الحماية على هذه العناصر، وحال دون تسليمهم لحكومات، مثلما فعل الحزب الإسلامى بقياد قلب الدين حكمتيار، وحركة طالبان الحاكمة فى أفغانستان حاليًا.

٦ ـ انعكست الخبرات السابقة للجماعات الإسلامية العنيفة فى الجهاد على ملامح أداء الأفغان العرب بعد ذلك خاصة فى تقويته، وتكامل أبعاده، وتتمثل الخبرة فى خمسة عناصر: الأول: إعداد «الطليعة المجاهدة» أو الكادر القتالى ذى المهارات العالية. والثانى: القدرة على التخطيط المحكم، وجمع المعلومات عن الأهداف، ومسرح العمليات وعناصره الثابتة والمتغيرة، والقدرة على متابعة الهدف. والثالث: تطوير القدرات الاتصالية الداخلية والخارجية. والرابع: تطوير نظام الأمن التنظيمى الصارم، والربط بين القيادات فى الداخل والخارج. والخامس: استخدام الكادر «الجهادى الطليعى» المدرَّب فى أفغانستان وإعادة زرعه داخل الدولة المستهدفة، سواء لتولى قيادة بعض العمليات أو المشاركة فيها مع عناصر أخرى بما لديها من خبرات واسعة، الأمر الذى ظهر فى عملياتهم العنيفة ضد حكومات بعض الدول العربية وضد أهداف أمريكية.

٧ ـ لا يدخل فى نطاق ظاهرة الأفغان العرب كل من شارك فى الجهاد الأفغانى من «المجاهدين العرب»، فكثير من المجاهدين العرب المشاركين فى القتال ضد السوفييت عاد إلى بلاده، واندمج بعضهم فى الحياة السياسية العامة، وقد نجحت حكومات عربية عدة، مثل: اليمن، والأردن، ودول خليجية فى استيعاب معظم مواطنيها الذين شاركوا فى الجهاد.

٨ ـ يدخل ضمن الأفغان العرب قادة الحركات الإسلامية العنيفة الذين مكثوا فى أفغانستان لفترات ممتدة، والكثير من المتطوعين العرب حتى وإن لم يشاركوا فى القتال، فالذى يجمعهم مع وجودهم بداية فى أفغانستان تقارب رؤاهم الفكرية والحركية، ودعوتهم لاستخدام العنف لتغيير الحكومات، ولمحاربة قوى الكفر العالمى وفق تصورهم، حتى وإن لم يمارسوا أنفسهم القتال. ويرى البعض أنه لا ينبغى المبالغة فى حجمهم؛ إذ يعتقد أن نسبة الجماعات الجهادية المنظمة التى شاركت فى الجهاد الأفغانى من العرب الذين توجهوا إلى أفغانستان ضئيلة من حيث العدد، وإن كانت مرتفعة المهارة من الناحية النوعية، وإن البعض الآخر

يشير إلى النجاح الواسع الذى تلاقيه هذه الظاهرة فى الانتشار، والتعمق الأفقى والرأسى، أى من حيث الكمية والعدد، أو من حيث النوعية، والكفاءة، والعدة.

ثانيا: أسباب نشأة الأفغان العرب

تشكَّلت بدايات ظاهرة الأفغان العرب فى إطار تفاعل متغيرات دولية، وإقليمية عربية وإسلامية، وداخلية أفغانية تدور حول الحرب الأفغانية، وما ارتبط بها بداية بحدوث الانقلاب الشيوعى عام ١٩٧٨م، وتدخل القوات السوفييتية بالاستدعاء؛ لدعم الانقلاب فى مواجهة الفصائل الإسلامية «المجاهدون الأفغان» التى قادت العمل المسلح ضد حكومة الانقلاب والقوات السوفييتية، وقد بدأت الولايات المتحدة فى مساندة مجموعات المجاهدين فى إطار عملية استنزاف ضد الاتحاد السوفييتى، فقامت بتقديم الدعم السياسى والمادى، وأطلقت وسائل الإعلام الأمريكية على المجاهدين الأفغان اسم «المقاتلين من أجل الحرية» .(Afghan Freedom Fighters)

وعلى مستوى الإطار الإقليمى العربى والإسلامى بدأت بعض الحكومات بتقديم مساعدات متنوعة، وعلى المستوى غير الرسمى سمحت بحركة تطوع من مواطنيها لدعم أفغانستان، دخل فى إطارها أعداد من أعضاء وقيادات الجماعات الإسلامية العربية المعتدلة والعنيفة لأسباب مختلفة منها قناعات جهادية من ناحية، أو للهروب من أحكام قضائية تصدرها المحاكم العسكرية ومطاردة السلطات لهم لتنفيذها من ناحية أخرى.

وسوف نتناول فيما يلى الإطارين المحلى والإقليمى الذى شهد مولد الظاهرة وشكل ملامحها الأساسية، وبعد ذلك نتناول الإطار الدولى الذى شهد معظم تفاعلاتها.

الإطار المحلى . . القضية الأفغانية وتداعياتها فى الحرب الأهلية :

مثَّلت القضية الأفغانية فى لحظة تاريخية معينة نموذجًا فريدًا لقضية إسلامية تجد خصائصها وفقًا لأحد الباحثين فيما يلى :

١ ـ قضية شعب مسلم وقع تاريخيًا فى منطقة الدوامات العنيفة لصراع القوى الكبرى البريطانية والروسية، ثم الأمريكية والسوفييتية، وعرف عنه المقاومة العنيفة لكل أشكال هذا الوجود وعدم الاستسلام . .

٢ ـ حالة جهاد شعبى ضد غزاة يمثلون إحدى القوتين الكبريين، حينئذ استخدموا عناصر محلية كمقدمة لقهر هذا النضال والجهاد .

٣ ـ صراع بين شعب يتمسك بإسلامه ضد قوى مصمِّمة على اقتلاع الطابع الإسلامى من حياته ومن حياة الأجيال القادمة .

٤ ـ صراع ذو طابع دينى يجرى فى إطار أوسع بين القوى المناهضة للإسلام، والعالم الإسلامى كله، ومن هذه الزاوية فالقضية هى محاولة اقتطاع دولة إسلامية من الحظيرة الإسلامية وإدخالها إلى دائرة الشيوعية حينئذ .

فى إطار التفاعلات الفكرية والتنظيمية والعسكرية للقضية الأفغانية، خاصة فى مراحلها الأخيرة جاء مولد ظاهرة الأفغان العرب أو البذور الأولى لها، بحيث يمكن ربط مولدها بداية بتلك الأحداث، خاصة مع بداية الحرب الأهلية، وإن كانت تطوراتها وتبلورها فيما بعد قد ارتبط بتفاعلات أقوى على المستويين الإقليمى والدولى، حتى وصول حركة طالبان إلى السيطرة شبه الكاملة على الأوضاع فى أفغانستان . .

الإطار الإقليمى العربى والإسلامى : ـ بناء على الرؤية والإدراك السابق للقضية الأفغانية كقضية إسلامية جاء الدعم من الإطار العربى والإسلامى، ويمكن رصده على المستويين التاليين :

١ ـ المستوى الرسمى : تمثل الدعم السياسى بداية فى ردود الفعل الإقليمية الإسلامية والعربية الرسمية والتى جاءت ملتقية مع الاتجاه العام فى الأمم المتحدة،

وأدى هذا التوافق بفضل الدعم الأمريكى إلى استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة الغزو ومطالبة موسكو بسحب قواتها فوراً، وفى هذا الإطار انعقدت دورة طارئة لوزراء خارجية الدول الإسلامية فى إسلام آباد بناء على طلب بنجلاديش خلال الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ يناير ١٩٨٠م تم فيها إدانة الغزو السوفييتى، والمطالبة بالانسحاب الفورى، ومقاطعة دورة الألعاب الأولمبية فى موسكو، ووقف عضوية حكومة كابول فى منظمة المؤتمر الإسلامى؛ بسبب تواطئها مع الغزاة، والمطالبة بقطع العلاقات معها، ومساندة اللاجئين الأفغان، واستمرت القضية الأفغانية تتصدر اجتماعات وقمم منظمة المؤتمر الإسلامى، ويلاحظ أنه على الرغم من ظهور حركة الجهاد بعد الغزو بقليل والسماح لقادته بعرض القضية أمام المؤتمرات الإسلامية، فإن ظهورها رسمياً فى سجلاتها لم يلحظ إلا فى مؤتمر فاس الوزارى فى يناير ١٩٨٦م؛ ليقرر المؤتمر مساندته للمقاومة الأفغانية فى تحرير بلادها، والحفاظ على استقلالها وهويتها الإسلامية.

وقد قرَّر المؤتمر الوزارى الإسلامى فى الرياض عام ١٩٨٩م بمبادرة وجهود سعودية مكثَّفة أن تحل حكومة المجاهدين محل حكومة كابول فى مقعد أفغانستان فى المنظمة، وذلك دون الاعتراف بحكومة المجاهدين، وبأنها بديلاً عن حكومة كابول، وهو موقف وسط استهدف فيما يبدو الضغط على موسكو. ورغم أن الدعم الرسمى العربى والإسلامى كان حالة عامة، فإن الدور الذى لعبته كل من الباكستان والسعودية كان محورياً فى هذا الإطار، فقد تحملت باكستان العبء الأكبر سياسياً وعسكرياً وإنسانياً فى القضية الأفغانية، حيث فتحت أراضيها خاصة فى بيشاور لحكومة المجاهدين، واستقبلت حوالى خمسة ملايين لاجئ أفغانى. وقد تعرَّضت المدن الباكستانية الحدودية للقصف السوفييتى، وتحوَّلت مناطق من أراضيها إلى ساحات قتال بين أطراف الصراع الأفغانى فيما بعد من شكلت البيئة التى ولدت فى أجوائها ظاهرة الأفغان العرب.

أما الحكومة السعودية فقد ساندت الجهاد الأفغانى وتولت مهمة الدعم المادى واللوجستى عبر علاقات مباشرة بدرجة واسعة، وفى هذا الصدد أيضاً قدمت

مصر أيضًا بعض السلاح والذخيرة والمعدات العسكرية عبر الهيئة العربية للتصنيع، كما قدمت دعمًا سياسيًّا رسميًّا، كما سمحت بجمع التبرعات، وسهَّلت مهمة التطوع أمام من يريد من المواطنين، والواقع أن المستوى غير الرسمى هو الأساس فى نشأة الظاهرة كما سنرى، لكنه استفاد بدرجة كبيرة من الدعم الذى تم تقديمه على المستوى الرسمى، والذى جاء فى بعض الأحيان عن طريق مؤسسات شبه رسمية وحكومية تولَّت العمل الإغاثى بالأساس، وكان أبرزها: الهلال الأحمر السعودى، ولجنة الدعوة الإسلامية، والهلال الأحمر الكويتى، وهيئة الإغاثة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامى، ولجنة البرّ الإسلامية، والهلال الأحمر الإماراتى، والوكالة الإسلامية للإغاثة (إسراءَ)، ومكتب الخدمات العربى، وهى منظمات شبه رسمية حكومية ـ باستثناء الأخير ـ وقد تمَّت الموافقة على تأسيس فروع لها فى بيشاور، وهى تعتبر امتدادًا لمنظمات خارج أفغانستان تعمل تحت إشراف دولها، وبالتنسيق معها، ومع وجود شعبى غير رسمى، حدث نوع من الخلط لدى بعض المحللين بين العاملين فى هذه المؤسسات والعرب الذين قدموا للمساعدة فى القتال والجهاد والذين أصبح يطلق على كثير منهم الأفغان العرب، وقد استمر العمل الإغاثى فى أفغانستان على الرغم من انتهاء الحرب؛ نظرًا لاستمرار مشكلة اللاجئين. ولكن وجود عناصر من المجموعات المقاتلة فى بيشاور، ويعمل بعضها فى إطار مؤسسات الإغاثة سرعان ما أثار قلقًا لدى السلطات الباكستانية والحكومات العربية، وتم تقليص هذا الوجود حتى أنها صُفِّيت تقريبًا فى أعقاب حادث تفجير السفارة المصرية فى إسلام آباد فى نوفمبر ١٩٩٥م.

٢ ـ المستوى غير الرسمى الذى ساهم فى نشأة ظاهرة الأفغان العرب

يُعَدُّ هذا المستوى أساس نشأة الظاهرة، ويمكن أن نقسمه **إلى قسمين: الأول:** فى مجال الإغاثة، والتعليم، والإعلام. **والثانى:** فى ميدان القتال، وبالطبع لا يمكن نفى وجود علاقة ما بين البعدين، فلا شك أن من بين من تواجدوا فى ميدان القتال والعمل العسكرى من كان يحرص على أن يكون له

دور فى العمل الإغاثى، بل وممارسة دور إعلامى، كما أن بعض العاملين فى مجال الإغاثة يمكن أن يكونوا تلقوا تدريبًا عسكريًا؛ نظرًا لطبيعة عملهم فى ساحة المعارك فى بعض الأحيان، الأمر الذى أدى إلى صعوبة التمييز فى الأحيان بين الفريقين، إلا أنه يبقى من الضرورى والمفيد التمييز بين هذين القسمين، فالقسم الأول يغلب عليه الجانب الإغاثى، وشاركت فيه حركات إسلامية معتدلة، وبخاصة الإخوان المسلمين، وكثير من الدعاة المستقلين. . أما القسم الثانى الذى ركَّز على القتال والتدريب العسكرى فيمكن أن نرصد فيه جانبين أيضًا: أحدهما المتطوعون العرب من أجل نصرة القضية الأفغانية، ومعظمهم غير مرتبط بتنظيمات، والثانى: أعضاء الجماعات الإسلامية العنيفة الذين أدركوا أهمية القضية الأفغانية كساحة للتدريب وممارسة العمل العسكرى استعدادًا للجهاد مستقبليًا ضد حكومات بلادهم أو القوى العالمية المحاربة للإسلام. . .

العلاقة بين القسمين الإغاثى والقتالى وفَّرت ـ ولو بشكل غير مباشر ـ البيئة الملائمة لظهور الأفغان العرب، كأحد الآثار غير المباشرة للحرب الأفغانية وما رافقها وأعقبها من تداعيات، **ولفهم ذلك يمكن أن نفصل بعض الشىء فى القسمين من العمل فى إطار القضية الأفغانية.**

(أ) القسم الأول: العمل الإغاثى غير الرسمى: يمكن أن نرصد دور نقابة الأطباء المصرية التى كان يسيطر على مجلس إدارتها حينئذ جماعة الإخوان المسلمين، والتى قدَّمت الدعم المادى عن طريق جمع الأموال، وإرسال نخبة من الأطباء ذوى الكفاءة، وقد أمدَّت النقابة المؤسسات الإسلامية الإغاثية الحكومية منها والشعبية بطاقات بشرية كبيرة من الأطباء، وكانت النقابة قد بدأت جهودها منذ عام ١٩٨٤م، واستمرت حتى أوائل التسعينيات.

كما قدَّم الإخوان المسلمون أشكالاً أخرى من الدعم المباشر، مثل: جمع التبرعات، والأموال، وإرسال مستشارين لقادة الجهاد، وإرسال مدرسين وأطباء من كافة أنحاء العالم، وتنظيم الندوات واللقاءات مع الجماهير. كما وفَّروا زخمًا

إعلاميًا من خلال الصحف والمجلات التى يصدرونها أو القريبة منهم، مثل: «الدعوة» و«لواء الإسلام» المصريتين، و«الإصلاح» الإماراتية، و«المجتمع» الكويتية، ومن خلال المراكز الإسلامية المنتشرة فى أوروبا وأمريكا، وكذلك أسَّسوا مؤسسة إغاثية «لجنة الدعوة الإسلامية» اهتمت بإنشاء المدارس والمعاهد فى المخيمات وفى بيشاور، وأنشأت معاهد عليا مثل المعهد «الشرعى»، وجامعة فى ضواحى بيشاور أطلق عليها جامعة «الدعوة والجهاد»، وعلى صعيد الدور السياسى حرص الإخوان على الالتقاء بقادة الجهاد الأفغانى دوريًا لتوحيد صفوفهم، وقد نجح المرحوم كمال السنانيرى عام ١٩٨٠م فى جمع قادة المنظمات الأفغانية فى مكة المكرمة، حيث وقَّعوا وثائق تنازل عن قياداتهم لمنظماتهم، واستعدوا للانضمام إلى تنظيم واحد هو «الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان» الذى جمع المنظمات المتصارعة ورأسه عبد ربِّ الرسول سيَّاف، ولكنه تمزَّق بعد شهور، وتُوفِّى السنانيرى فى السجن بمصر فى ظروف غامضة بعد إلقاء القبض عليه ضمن حملة اعتقالات رموز المعارضة المصرية فى آخر عصر السادات ١٩٨١م، وقد استمر الإخوان فى القيام بدور الوساطة، وتقريب وجهات النظر بين فصائل المجاهدين، وبينهم والحكومة الباكستانية، فقد قام المرحوم صلاح شادى فى ١٩٨٩م بجهود من هذا القبيل عقب توقيع باكستان اتفاقية جنيف فى أبريل ١٩٨٩م والتى رفضتها الفصائل الأفغانية.

(ب) العمل العسكرى والنشأة الحقيقية للأفغان العرب: مثلت الحالة «الأفغانية» حالة نموذجية لاستقطاب المتطوعين من جميع أنحاء العالم؛ نظرًا لما تمثله من تطبيق لفريضة دينية «الجهاد»، وكان لكثير من العلماء فى مصر والسعودية وباكستان وأفغانستان دور كبير فى تعبئة المتطوعين، وبخاصة من العرب للجهاد فى أفغانستان؛ إذ وجَّه شيخ الأزهر حينئذ، وعلماء مسلمون مثل عبد العزيز بن باز، وسعيد حوى، وعبد الله علوان، والمطيعى، وعبد المجيد الزندانى نداءات بضرورة دعم الجهاد الأفغانى، واعتبروا ذلك فرض عين «وقد تدفَّق آلاف المتطوعين وأكثرهم من العرب للجهاد فى أفغانستان، وإذا كان معظمهم التحق بأعمال الإغاثة، فإن بضعة آلاف منهم توجهوا لجبهة القتال.

وقد زادت المشاركة العربية فى النصف الثانى من الثمانينيات، خاصة فى الفترة من ٨٦ – ١٩٨٨م، وبلغت ذروتها خلال عامى ١٩٨٧م و١٩٨٨م، حتى وصل وفق بعض التقديرات إلى ألفين. وأبرز المعارك العسكرية التى شارك فيها العرب مشاركة ملموسة هى معركة «جاجى» التى وقعت عام ١٩٨٧م، كما كان العرب يقاتلون فى هذه المعركة بوحدات مستقلة، ثم جاءت بعدها معارك «جلال آباد» التى استشهد فيها حوالى ٧٠ عربيًا، وكذلك معركة «مأسدة الأنصار» ١٩٨٧م، وهى موقع أنشأه أسامة بن لادن للشباب العربى الداعم المجاهدين الأفغان، وقد كان البُعْد المعنوى أيضًا من أبرز أدوار المجاهدين العرب، وبذلك أعطوا بعدًا نوعيًا وكيفيًا للجهاد، وكانت وجهة نظرهم ضرورة الاشتراك فى الجهاد الكشميرى حال الفراغ من الجهاد الأفغانى. ومن جانب آخر كان للوجود العربى سلبياته، ومن أبرزها نقل الخلافات والصراعات بين الجماعات الإسلامية إلى أفغانستان، فمثلاً التراشق بين التيار العنيف والمعتدل، فقد كان تنظيم الجهاد يرى أن الإخوان المسلمين يميلون إلى السلام والدعة ويبتعدون عن القتال، وأنهم يتَّجهون فى دعم المجاهدين إلى أعمال الإغاثة والخدمات. أما الجهاد والجماعة الإسلامية المصرية والسلفيون، فكانوا يعتقدون أن القتال مع المجاهدين الأفغان هو الطريق الوحيد لدعم الأفغان. وكانت تلك نقطة بداية ظهور «الأفغان العرب»، وتحول «المجاهدين العرب» إلى «الأفغان العرب».

التحول من «المجاهدين العرب» إلى «الأفغان العرب». ثمَّة بعدان رئيسان أسهما فى تحول «المجاهدين عرب» إلى «أفغان عرب»:

أولهما: خروج القوات السوفييتية من أفغانستان فى عام ١٩٨٩م، ثم سقوط الحكومة المدعومة من الاتحاد السوفييتى فى كابول فى أبريل عام ١٩٩٢م، والذى تم على إثره تفجر صراع عنيف وحرب أهلية ما زالت قائمة منذ يناير ١٩٩٣م. بدأت بين حكمتيار وربَّانى وأحمد شاه مسعود إلى أن جاءت حركة طالبان، فاكتسحت الفريقين معًا، وسيطرت على معظم الأراضى الأفغانى لأسباب ليس هنا موضع تفصيلها، وقد نجم عن ذلك أن فقد وجود المتطوعين العرب مبرراته،

فلم يَعُد هناك جهاد يمكن دعمه، وإنما حرب أهلية وفتنة بالمفهوم الإسلامى، وعندما شارك المتطوعون العرب فى هذه الحرب الأهلية، فإنهم لم يصيروا «مجاهدين عربًا» وإنما «أفغانًا عربًا»، وصار دورهم فاقدًا للمبرر الشرعى ـ وفق الرؤية الفقهية الإسلامية ـ، وكان هؤلاء فى الفترة التى سبقت مباشرة سقوط نظام كابول وحكم نجيب الله فى أبريل ١٩٩٢م قد توزعوا على الفصائل الأفغانية ـ وفقًا لبعض المصادر ـ حزب إسلامى (حكمتيار) ٦٠٠ عربى، واتحاد إسلامى (سياف) ٥٠٠ عربى، وجمعية أهل الحديث (مولاى جميل الرحمن) ٣٠٠ عربى، وفى القتال بين الفصائل الأفغانية سقط عشرات قتلى من بين الموجودين فى صفوف حكمتيار أثناء المواجهة مع قوات الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين ربَّانى وأحمد شاه مسعود. وقد ناصروا حكمتيار عندما رفع شعاره الداعى إلى إقامة دولة إسلامية، بينما كانوا يعتبرون أحمد شاه مسعود ضد ما يرونه المشروع الإسلامى، وفى النهاية استقر البعض منهم فى أفغانستان يقاتلون مع فصيل ضد الآخر؛ لضمان الإقامة فى حماية ذلك الفصيل أو ذاك، وخاصة بعد انقطاع الأمل فى العودة إلى بلادهم.

ثانيهما: قدوم بعض قيادات حركتى «الجهاد والجماعة الإسلامية المصرية إلى أفغانستان منذ منتصف الثمانينيات، مدركين أهميتها كساحة وفرصة تاريخية للتدريب المسلح، وقد ساعد على ذلك أن نفس الفترة شهدت تراجعًا فى دور الإخوان القيادى فى الساحة الأفغانية بعد وفاة «السنانيرى» فى المعتقل بمصر، واغتيال «عبد الله عزام» بسيارة مفخَّخة، إضافة إلى خروج السوفييت كما أسلفنا، الأمر الذى صبَّ فى مصلحة قادة حركات العنف، وأدى إلى ظهور وتبلور ظاهرة الأفغان العرب، فقد كان أيمن الظواهرى من أوائل قيادات تنظيم الجهاد الذين وصلوا إلى أفغانستان (يناير ١٩٨٥م) بعد الإفراج عنه فى مصر، ويُعَدُّ مؤسس الوجود الجهادى فيها، والذى تحوَّل إلى الأفغان العرب فيما بعد، والتقى الظواهرى بأسامة بن لادن وهو مليونير عربى سعودى كان يرغب فى دعم الجهاد الأفغانى، ولم يكن يتبنَّى فى البداية منهج العنف والتغيير بالقوة كالظواهرى، بل كان أقرب إلى رؤية الإخوان المسلمين، وكان عبد الله عزَّام قد

دعاه لتأسيس معسكرات للمجاهدين، ومنها معسكر «الخلافة» الشهير الذى مرَّ به كل الأفغان المصريين، كما شهدت الفترة من ٨٧ ـ ٩٤ نزوحًا جماعيًا لكثير من قيادات الجهاد والجماعة الإسلامية إلى أفغانستان، مثل: رفاعى أحمد طه (١٩٨٧م)، ومحمد شوقى الإسلامبولى، ومصطفى حمزة (١٩٨٨م)، وهكذا أصبحت السيطرة على المتطوعين العرب شبه مطلقة للجماعات الإسلامية العنيفة. وقد كان المصريون يتجمعون فور وصولهم إلى بيشاور فى «بيت الأنصار» أو «بيت القاعدة»، ثم يتم توزيعهم بعد ذلك على المعسكرات المختلفة فى الأراضى الأفغانية، وقد أصرَّت الجماعة الإسلامية المصرية على إقامة معسكر خاص بها قبل نهاية الحرب، هو «الخلافة» فى عام ١٩٨٩م، وهو ما يؤكد على تفكير الجماعة فى توظيف هذه الأوضاع، والتدريب على عمليات لا علاقة لها بالقتال فى الجبهة الأفغانية. كما كانت التجربة الأفغانية فرصة لالتقاء العناصر العربية والتنسيق فيما بينها، ولعلَّ قيام سوريين وفلسطينيين بتدريب العناصر العربية، وهو ما يؤكد مدى قوة العلاقات بين هذه المجموعات، وقد استفادت عناصر «الأفغان المصريين» من هذه العلاقات فيما بعد، وبصفة خاصة مع عناصر «الأفغان اليمنيين»، حيث شكَّلت اليمن محطة أساسية للعناصر المصرية فى طريق العودة، كما توَّرطت عناصر يمنية فى نقل تكليفات من الظواهرى إلى أتباعه فى مصر المتهمين فى قضية «طلائع الفتح»، حسبما أشارت تحقيقات القضية. كما شاركت عناصر مصرية فى عدد من عمليات العنف التى جرت فى اليمن عام ١٩٩٤م، وحادث خطف السياح الأجانب فى نهاية ١٩٩٨م ومطلع ١٩٩٩م، وقد سبق التعرض لتأثير خبرة التجربة الأفغانية على «الأفغان العرب»، خصوصًا فيما يتعلق بشبكة العلاقات والاتصالات الوثيقة بين مجموعات تنتمى إلى التيار الجهادى السلفى مختلفة من بلدان متعددة، وصلت إلى حد تشكيل ما يعتبره البعض «بالأممية الإسلامية» أو «الجيش الأممى الإسلامى»، وما استفادته عناصر الأفغان العرب من خبرة قتالية، وتكوين كادر قتالى محترف، كما مر وقدمنا فى تعريف الأفغان العرب.

ثالثا: الرؤى الفكرية والخريطة التنظيمية للأفغان العرب

يصعب القول بوجود رؤية فكرية كلية متماسكة خاصة بالأفغان العرب تميزهم عن بقية الفصائل الإسلامية التى تستخدم العنف السياسى أو الجهاد وفق إدراكاتهم فى التعبير عن مواقفهم، فهم بداية كغيرهم من التيارات الإسلامية يقولون بمرجعية القرآن الكريم والسنة الشريفة ـ وفق فهم السلف الصالح ـ فى تحديد مواقفهم وتصرفاتهم وأفعالهم، ولكن ذلك لا يعنى عند الممارسة العملية وحدة أو حتى عدم تناقض فى تلك المواقف والأفعال، واعتقاد كل جماعة أنها تمثل الموقف الشرعى الصحيح والأجدر بالاتباع.

(أ) الرؤى الفكرية للأفغان العرب..

يمكن أن يرصد وجود رافدين أساسيين شكَّلا معا الرؤى الفكرية للأفغان العرب:

الرافد الأول: يتمثل فى الخلفية الفكرية التى انحدروا منها، أى الإطار الفكرى للجماعات التى كانوا ينتمون إليها سابقًا قبل أن يتبلوروا فى طور تنظيمى جديد هو الأفغان العرب، وبشكل عام فإن أبرز ما يميزهم هو انتمائهم إلى خط فكرى سياسى يطلق عليه الاتجاه الجهادى السلفى...

الرافد الثانى: يتمثل فى عملية التنشئة السياسية والتلقين والشحن العقائدى الذى تلقوه فى أثناء الحرب الأفغانية وفى أعقابها، والذى سبق الإشارة إليه؛ إذ أنه فى بداية الحرب الأفغانية تكامل الدور الذى لعبته أدوات الإعلام العربى والإسلامى مع الدور الذى قام به العلماء الرسميون وغير الرسميين الذين أصدروا الفتاوى حول الجهاد فى أفغانستان وفرضيته، ولعبوا دورًا مهمًّا فى الدفع بحركة التطوع، وفى أثناء العمل العسكرى كان يجرى إعداد مواز لا يقل أهمية فى النواحى الفكرية والعقائدية والعبادية؛ لشحن الشباب ودفعهم للشهادة، وإذا كان البعض يرى أن بعض قادة الفصائل الأفغانية كان متأثرًا بالتراث الفكرى للإخوان، مثل برهان الدين ربانى وعبد رب الرسول سيَّاف،

و«صبغة الله مجددى» الذى التقى قادة الإخوان فى الخمسينيات، وتدرَّب معهم على السلاح أثناء قتال الإنجليز فى منطقة السويس، فإن القسم الأكبر كان أقرب إلى التيار السلفى الجهادى مثل حكمتيار وبقية قيادات الفصائل، وقد تلازمت هذه العملية حتى بعد انتهاء الجهاد فى أفغانستان والدخول فى دوامة الحرب الأهلية، وحتى سيطرة حركة طالبان على معظم أراضى أفغانستان؛ وفى إطار هذه التنشئة تم تعميق معانى الاستشهاد، والمؤامرة الموجَّهة من أعداء الإسلام للقضاء عليه. . وقد تفاعل الرافدان فى إطار المصادر الفكرية للأفغان العرب لتشكيل الملامح الأساسية لهذه الرؤية، ولا شك أن مصادر الفكر الجهادى توجد جذورها فى قراءات وتفسيرات معينة لاجتهادات ابن تيمية، وابن عبد الوهاب، وابن رجب الحنبلى، وغيرهم من علماء السلف، ومن المعاصرين فى أفكار سيد قطب، وأبو الأعلى المودودى، وقد طوَّرت جماعة الجهاد فى مصر رؤيتها عبر إعادة إنتاج وتأويل أفكار المرحوم سيد قطب حول «الحاكمية» و«الجاهلية» و«العصبة المؤمنة» من خلال رؤية معينة مدَّتها على الواقع فأنتجت فلسفة المواجهة، ومعالم التغيير الثورى، والحركة الإسلامية، والعمل الحزبى إلخ، وبلورت الجماعة الإسلامية فى مصر رؤيتها فى أصناف الحكام وأحكامهم، وحكم الطائفة الممتنعة عن شعيرة من شعائر الإسلام، والقول الفصل فى حكم العذر بالجهل إلخ، وقبل ذلك هناك الرؤى المضمنة فى كتيب «الفريضة الغائبة» الذى كان الأساس الذى تمَّ حوله بلورة العمل الذى قاد إلى مقتل الرئيس السادات ١٩٨١م، وأطلق عليه تنظيم الجهاد فيما بعدك ودون دخول فى تفاصيل فقهية وتأصيلات شرعية، **فإننا نستطيع أن نرصد الملامح والعناصر الأساسية للرؤى الفكرية للأفغان العرب فى التالى:**

١ ـ تعتبر الحكومات القائمة فى جميع بلدان العالم العربى والإسلامى هى أنظمة غير شرعية، توالى أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وتعادى شريعة الإسلام والذين يدعون لتطبيقها. .

٢ ـ يُعَدُّ الجهاد والقتال هو الوسيلة الأساسية لتغيير هؤلاء الحكام والحكومات، وجهادهم فرض عين على جميع المسلمين حتى يتم تغييرهم.

٣ ـ يجب رفض التعامل مع مؤسسات الدولة، مثل دخول البرلمان، أو إقامة أحزاب سياسية؛ لأن ذلك يؤدى إلى تدعيم دولة الكفر ولا يحطمها، ولكن يمكن دخول بعض المؤسسات مثل المؤسسة العسكرية؛ لكى يتم توظيف قدراتها فى الإطاحة بهذه الأنظمة.

٤ ـ تؤمن بعض فصائل الأفغان العرب بأسلوب الانقلاب العسكرى للاستيلاء على السلطة، وتؤمن أخرى بأسلوب الثورة الشعبية، فى حين ترى ثالثة الدخول فى عمليات عنيفة ضد هذه الأنظمة من قبيل الضغط عليها لتحقيق أهدافها..

٥ ـ يُعَدُّ مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قضية محورية فى منهجية الأفغان فى التعامل مع قضايا الدولة والمجتمع فى آن واحد، وهى ترى أن تطبيق المبدأ يباح لآحاد المسلمين ودون أذن من السلطة المختصة، ما دامت قد تحققت شروطه الشرعية..

٦ ـ تختلف فصائل الأفغان العرب فى موقفها من المجتمعات العربية والإسلامية، فالبعض يرى أن هذه المجتمعات كافرة مرتدة، والبعض الآخر يكتفى بوصمها بالجاهلية والتى لا تمتد إلى الاعتقاد، ولكن تشمل التصورات، والتشريعات، والعادات والتقاليد، والبعض الثالث يراها على الأصل وهو الإسلام، ولكنها تحوى نخبًا معاونة للحكام علمانية وعميلة تأخذ نفس الحكم الشرعى للحكام، وفى هذه الحالة تُعَدُّ الشعوب مغلوبة على أمرها فى ظل هذه الحكومات غير الشرعية.

٧ ـ ترى هذه الجماعات الفئات السابقة بوصفها طوائف ممتنعة عن تطبيق شعائر وشرائع الإسلام؛ ومن ثم فإنها ترى ضرورة محاربة هذه الطوائف، وناقشت بعض الفصائل ما أسمته حكم التترُّس، فإذا تخفَّت أو تترَّست الطائفة الواجب شرعًا قتالها وراء أخرى وجب قتال الجميع، ولو كانت الفئات المتترَّس بها من الجماعة المسلمة فإنهم يقتلون ويبعثون على نياتهم..

٨ ـ تبنِّى فصائل الأفغان العرب مواقفها من المخالفين على أساس قواعد الولاء للذين آمنوا والبراء من الذين كفروا، ويشملون جميع غير المسلمين، وهم غالبية أهل الأرض، ويقسمونهم وفق مقاييس الفقه إلى محاربين ومعاهدين . . . إلخ، وهم يعتبرون العالم الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية من المحاربين الذين يجب محاربتهم . .

٩ ـ تختلف فصائل الأفغان العرب فى تحديد العدو الرئيسى، ففيما تراها بعض الفصائل فى الأنظمة الحاكمة فى بلدانها التى انحدرت، وذلك امتداداً للخط الجهادى التقليدى فى أن قتال العدو المباشر والقريب أولى من قتال البعيد وغير المباشر، بينما تراه فصائل أخرى فى اليهود والنصارى (إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارهما العدو الأساسى والأخطر)، فى حين تراه فصائل ثالثة فى العدو الحالّ فى أية منطقة تتم فيها عملية محاربة للمسلمين أو الأقليات الإسلامية، كالوضع فى كشمير، أو البوسنة، أو الشيشان، أو ألبانيا . . . إلخ . .

١٠ ـ يرفض الأفغان العرب الجاهلية الغربية الحديثة لماديتها وكفرها، فالديمقراطية فكرة جاهلية، تمخضت عن تطور المجتمع الأوروبى على طوال تاريخه منذ زمن الإغريق، وهى تسعى لتحكيم منهج الأغلبية ولو كان باطلاً، ودون وضع ضوابط، فالديمقراطية تعطى البشر الحق المطلق فى التشريع؛ ولذلك فليس هناك علاقة مطلقًا بين الديمقراطية والشورى.

١١ ـ يرفض الأفغان العرب الفكرتين الوطنية والقومية باعتبارهما روابط أرضية جاهلية، وأنه لا جنسية للمسلمين إلا فى عقيدتهم، وبناء على ذلك فإنهم لا يقرُّون بفكرة المواطنة باعتبارها أساس الانتماء ومعيار تبادل الحقوق والواجبات، ويتمسكون بفكرة عقد الذمَّة باعتبارها أساس التعامل مع الأقليات داخل الكيان والدولة الإسلامية.

١٢ ـ يرى الأفغان العرب العلمانية فكرة غربية تتناقض مع الإسلام، ودين جديد أُريدَ له أن يحلَّ محلَّ الإسلام، ومن ثَم فإن القوانين الوضعية كفر بواح.

١٣ ـ يتفاوت الأفغان العرب فى القضايا الخلافية الفقهية، ولكنهم على كل الأحوال يميلون إلى الأخذ بالدليل الشرعى وفق فهم السلف الصالح، مهما كان مفوتًا لمصلحة ظاهرة ونفس القضايا الخلافية يتمسك بها الأفغان العرب، فنشرة الأنصار على سبيل المثال كانت ترفض نشر الصور على صفحاتها، والبعض منهم يتشدد فى الأخذ بسنن الهدى الظاهر، ولكن الغالبية لا تأخذ به لاعتبارها تقيم فى دار حرب، وتعيش حالة حرب وجهًا دائمة ضد قوى الكفر العالمى . . .

وهكذا تتواصل أفكار الأفغان العرب بصورة تكاد تكون تكرارية لفكر الحركات الإسلامية الجهادية، وذلك طبيعى؛ لأنهم امتداد لهذه الحركات، بل إن قادتها هم نفس قادة الأفغان العرب، والذين أسهموا فى بناء هياكلهم وأطرهم التنظيمية لمحاولة نقل بعض هذه الأفكار ـ وهى وفق تصوراتهم أحكامًا شرعية واجبة التنفيذ ـ إلى واقع الممارسة العملية.

(ب) الأطر والهياكل التنظيمية للأفغان العرب..

بداية تتنوع الخريطة التنظيمية لجماعات الأفغان العرب وتتعدد هياكلها، ويعود غياب الإطار التنظيمى الواحد إلى تعدُّد المنظمات والجماعات التى ينتمون إليها، فكثير منهم كما رأينا ينتمون إلى تنظيمات قديمة نشأت فى بلادها الأصلية قبل الانخراط فى الحرب الأفغانية، مثل الجماعة الإسلامية والجهاد، وآخرين غير منضوين تحت أية أطر تنظيمية أصلاً، كما أن هناك تنظيمات نشأت، ثم سرعان ما اندثرت مثل جماعة «الخلافة» و«التكفير والهجرة» وجماعة «الفطرة»، بالإضافة إلى ذلك هناك منظمات وجمعيات غرضها الدعاية أو العمل كغطاء لتنظيم غير شرعى، وهناك جماعات قطرية لها مثل جيش عدن، والجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا) فى الجزائر؛ ويمكن أن نرسم خريطة تنظيمية مبسطة **على النحو التالى:**

١ ـ الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد: نشأ التنظيمان فى مصر فى السبعينيات عبر سلسلة من التطورات التنظيمية، وكان أبرز محطاتها عام ١٩٨١ عندما

انضمت «الجماعة الإسلامية» فى جامعات الصعيد إلى المجموعات «الجهادية» فى القاهرة بقيادة محمد عبد السلام فرج مكونين تنظيم الجهاد الذى نفذ عملية اغتيال السادات وأحداث أسيوط ـ فى حين انضمت ذات الجماعة فى بقية الجامعات بالوجه البحرى إلى جماعة الإخوان المسلمين ـ ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلاً، حيث انقسم التنظيم إلى مجموعتين هما: الجماعة الإسلامية بقيادة الدكتور عمر عبد الرحمن ـ المسجون فى أمريكا ـ وجماعة «الجهاد» بقيادة عبود الزمر ثم الظواهرى بعد ذلك، وذلك بسبب الخلاف حول القيادة وأسلوب العمل، وفى فترة لاحقة منذ ١٩٨٥ أدرك الطرفان أهمية أفغانستان كقاعدة للعمل والتدريب العسكرى، فبدأت كوادر التنظيمين فى التدفق عليها، وكما رأينا كان الظواهرى من الأوائل ثم تبعه باقى القيادات، وأثناء الجهاد ضد السوفييت قويت العلاقة بين التنظيمين، وبينهما وبين أسامة بن لادن، ويمكن القول إنه حتى عام ١٩٩٦ لم يكن هناك أى حديث بين قادة الجماعات المصرية عن توحدها تحت مظلة بن لادن، ولكن تركزت الجهود على توحيد صفوف الجماعة والجهاد على أساس وحدة الأهداف خاصة أن الخلاف غير جوهرى؛ إذ يدور حول إحدى المسائل الشرعية وهى «العذر بالجهل» وأخرى تنظيمية حول مسألة «الإمارة والشورى»، وعلى الرغم من عدم حسم هذه الخلافات فقد تم التوصل إلى نوع من التنسيق المشترك بين الطرفين بسبب كثرة تواجدهما معا فى أفغانستان والسودان.

وقد شهد عاما ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ ازدياد شقة الخلاف بين الطرفين بسبب إعلان قادة الجماعة فى مصر مبادرة وقف العنف، والتى تم تبنيها رسميًا فى ٢٥ مارس ١٩٩٩ من قبل الجماعة، وبسبب الموقف من توحيد تنظيمات الأفغان العرب تحت مظلة «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين»، وكان القيادى رفاعى أحمد طه المقيم فى أفغانستان قد وقع عن الجماعة الإسلامية على وثيقة إعلان تلك الجبهة فى فبراير ١٩٩٨ إلى جانب تنظيم الجهاد وتنظيم أسامة بن لادن، ثم عاد لينفى التوقيع وصلة الجماعة الإسلامية بالجبهة قبل الضربة المزدوجة التى وجهت إلى السفارتين الأمريكيتين فى نيروبى ودار السلام فى

٨ أغسطس ١٩٩٨ بعشرة أيام، وقد احتدم الخلاف أكثر بصدور تصريحات واضحة من الشيخ عمر عبد الرحمن وعشرة من قياداتها التاريخية فى شهر أكتوبر ١٩٩٨ يهاجمون فيها تلك الجبهة، ويدعون إلى تشكيل جبهة أخرى مضادة لها تعتمد الأساليب السلمية فى الدعوة للإسلام والدفاع عنه.

٢ ـ الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين: ظهرت فى فبراير ١٩٩٨ وقد حمل البيان التأسيسى توقيع أسامة بن لادن (القاعدة) وزعيم الجهاد أيمن الظواهرى وجماعتين من باكستان وأخرى من بنجلاديش ومسؤول شورى «الجماعة الإسلامية» رفاعى أحمد طه الذى انسحب بعد ذلك، وتضمن البيان فتوى «توجب على المسلمين قتل الأمريكيين ونهب أموالهم أينما كانوا»، وقد أعلن «الجيش الإسلامى لتحرير المقدسات» مسؤوليته عن تفجير السفارتين الأمريكتين، ويسود اعتقاد أنه الجناح العسكرى للجبهة، وعصب هذا التنظيم يتمثل فى تحالف أسامة بن لادن والظواهرى، وتختلف التقديرات حول قوة هذا التنظيم وعدد أتباعه المنتشرين فى جميع أنحاء العالم من الأفغان العرب.

٣ ـ المنظمات الدعائية: وهى تعمل فى مجال الدعاية والإعلام للأعمال التى تقوم بها جماعات العنف والأفغان العرب وأحيانًا حركة طالبان، ومن أبرزها «المكتب الدولى للدفاع عن الشعب المصرى» القريب من تنظيم الجهاد؛ والمرصد الإعلامى الإسلامى، القريب من تنظيم طلائع الفتح، والذى يبدو أنه صار على خلاف مع الجهاد، وهما يقومان بوظيفة التغطية الإعلامية ولا توجد دلائل واقعية على علاقة تنظيمية بالأفغان العرب، ويديرهما قيادات إسلامية مصرية جهادية لاجئة فى بريطانيا..

العلاقة بين تنظيمات الأفغان العرب: بداية ينبغى التمييز بين فكرة تأسيس تنظيم عالمى، وبين تحققها عمليًا فى هيكل واضح المعالم، وهذا الأخير كما يرى البعض غير متحقق فى الواقع سوى فى «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين» التى تضم عدة تنظيمات أبرزها الجهاد والقاعدة، ولكنها لا تضم كل الأفغان العرب، فهناك أعضاء الجماعة الإسلامية المصرية وهم خارج الجبهة،

وأعضاء الجماعة الإسلامية الجزائرية، وهم منشغلون بمواجهة الحكومة الجزائرية قبل الصراع مع الأمريكان. فالعائق الأساسى أمام وجود تنظيم هرمى عالمى يتمثل فى تفاوت ظروف الجماعات الإسلامية فى كل بلد، الأمر الذى يجعل مهمة تأسيس تنظيم واحد أمراً فى غاية الصعوبة، بل إنه داخل البلد الواحد استحال توحيد التنظيمات مثل الجهاد والجماعة الإسلامية، وتعد الجبهة الإسلامية العالمية خطوة متطورة على صعيد هذا العمل، ولكنها لا تكفى للقول بوجود هيكل تنظيمى كامل للأفغان العرب. من جهة أخرى فإن غياب هذا التنظيم الهرمى لا ينفى وجود تنسيق بين تنظيمات وجماعات الأفغان العرب. فهناك تنسيق على المستوى الفكرى وتبادل للأدبيات والكتب التى تترجم الاجتهادات النظرية والمواقف السياسية، ولا يمكن استبعاد حدوث لقاءات تنظيمية بين قيادات الأفغان العرب، والخلاصة أن الجبهة الإسلامية العالمية من أكثر الخطوات تطوراً على صعيد إيجاد هيكل تنظيمى متكامل، ولكنها مازالت حديثة ـ ساعة كتابة هذه الدراسة ـ ويصعب الحكم على مدى فعاليتها وقدرتها على الاستمرار فى مواجهة الضغوط الأمريكية كما سنرى فيما بعد.

رابعاً: ممارسات حركة الأفغان العرب وخريطة العنف السياسى

تعطى ممارسات فصائل الأفغان العرب مؤشراً على طبيعة بنيتهم الفكرية والتنظيمية، ويمكن أن نرصد منها ستة مسارات يجمع بينها سمة غالبة هى استخدام العنف والقتال لتحقيق أهداف وغايات سياسية معينة يرونها من أولويات حركتهم **على النحو التالى:**

أولاً: محاولة الأفغان العرب إعلان إقامة خلافة إسلامية: فى حين خرجت المجموعات الأساسية من الأفغان العرب المقاتلين خارج أفغانستان، فقد بقيت رموز منهم فى أفغانستان فى حين اتجهت مجموعات أخرى للاستقرار فى منطقة الحدود الأفغانية الباكستانية بجوار بيشاور وهى مناطق تضعف قدرة الحكومة الباكستانية على التدخل والسيطرة، وفى عام ١٩٩٢ قررت مجموعة منهم يطلق

عليهم «جماعة الخلافة» التفكير فى الأمر، وقد أدت المشاورات بينهم إلى خلاف كبير قاد إلى **انقسامهم إلى فريقين:** أحدهما يدعو إلى مبايعة حكمتيار أمير الحزب الإسلامى خليفة للمسلمين، والثانى يعارض ترشحيه لعدم شرعية تعامله مع إيران، وتحالفه مع حزب الوحدة الشيعى مما أدى إلى انقسامات وتوزع الأفغان العرب على الفصائل الأفغانية حسب ولائهم، ولكن الجماعة سرعان ما أرادت الدخول فى مشروع لإعلان «الخلافة الإسلامية» عمليا والبدء بتجربة ميدانية على الحدود الباكستانية ـ الأفغانية، وحمل لواء هذه الفكرة شاب فلسطينى، ولكنه تنازل عنها بعد جدل فقهى؛ نظرًا لكونه غير قرشى، ومن شروط الخلافة ـ حسب الرؤية النصية للأفغان العرب ـ أن يكون الخليفة قرشيًا؛ ولكن سرعان ما تجمعت المجموعة الساعية إلى إعلان الخلافة مرة أخرى حول أفغانى أردنى ترجح توافر الشرط فيه، فوقع الاختيار عليه وأعلن نفسه خليفة للمسلمين، وبدأ بتعيين الولاة على العالم الإسلامى، وأخذ أنصاره يبحثون عن منطقة يعلنون فيها دولتهم، فأقنعوا رجال القبائل على الحدود الباكستانية ـ الأفغانية الذين وافقوا على تأييدهم طمعًا فى المال، ونكاية فى الحكومة الباكستانية، وقد استقرت المجموعة فى مناطق «ثيرا» التابعة لـ «حزم أو بمتسى» على الحدود، والبعيدة عن سيطرة الحكومة الباكستانية، والتى تتيح إمكانية الحصول على دعم وتأييد قادة قبائل المنطقة المعارضين للحكومة الباكستانية، وعلى رأسهم زعماء قبيلة «أفريدى» مالك نادر خان زاكخيل وحاجى جل بات خان، ولكن سرعان ما دبت الخلافات والصراعات بين الطرفين، وخاصة بعد مقتل الزعيمين القبليين، ولعبت الاستخبارات الباكستانية دورًا رئيسيًا فى تفجير الصراع وتأليب رجال القبائل ضد الأفغان العرب، وأسفرت المعارك عن سقوط ١١ قتيلاً من الأفغان العرب من بينهم الخليفتين المتنازل عنها والمعلن، و قد حاول حكمتيار التوسط بين الطرفين على الرغم من انشغاله بالحرب مع ربانى، وتم وقف المعارك مقابل انسحاب الأفغان العرب من مناطق القبائل والاتجاه إلى داخل الأراضى الأفغانية.

ثانيا: اشتراك الأفغان العرب فى الحرب الأهلية الأفغانية إلى جانب حكمتيار ثم التحالف مع طالبان: على الرغم من أن معظم الأفغان العرب قرروا أن مهمتهم انتهت فى أفغانستان بسقوط الحكومة الشيوعية، إلا أن عدداً منهم انخرط فى الحرب الأهلية بين الفصائل الأفغانية، خاصة إلى جانب قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامى، وكما رأينا وصل عدد المقاتلين العرب إلى جانبه إلى حوالى ٦٠٠ مقاتل. وكان حكمتيار قد دعا الأفغان العرب الذين استقروا فى بيشاور إلى دخول أفغانستان بعد أن بدأت السلطات الباكستانية فى ملاحقتهم؛ مما دفع حكومة ربانى إلى عقد اتفاقات أمنية مع حكومات عربية خاصة مصر لرصد نشاطات الأفغان المصريين، وبعد ظهور حركة طالبان وتمكنها من فرض سيطرتها على معظم الأراضى الأفغانية حدثت عمليات نزوح جماعى للأفغان العرب من باكستان إلى المناطق التى تسيطر عليها «طالبان»؛ ليعيش معظمهم فى منطقة قندهار، وشملت عمليات النزوح كل الأسماء البارزة فى تنظيمى الجماعة والجهاد مثل العقيد محمد المكاوى، والظواهرى، وأسامة بن لادن، والواقع أن ثمة علاقة وثيقة فى الوقت الراهن بين حكومة طالبان والأفغان العرب لعل من أقوى مؤشراتها ما تسبغه حكومة طالبان من حماية على بن لادن ورفضها تسليمه لأمريكا، وإضافة إلى ذلك تقطن بعض فصائل الأفغان العرب فى مناطق قبلية على الحدود الأفغانية الباكستانية التى لا يخضع سكانها لسيطرة الحكومة الباكستانية، وتمكنوا من الاندماج فى مجتمعات هذه المنطقة.

ثالثا: بحث الأفغان العرب عن ساحات قتال جديدة: اتجه فريق ـ كما أسلفنا ـ من الأفغان العرب الذين غادروا أفغانستان أو باكستان إلى البحث عن ساحات قتال جديدة «إسلامية» فى الخارج، فقد انتقل بعضهم إلى المناطق الإسلامية الساخنة فى الاتحاد السوفييتى السابق وبخاصة طاجكستان والشيشان، وكشمير؛ إذ اتهمت الهند بعض عناصرهم بالقيام بسلسلة من التفجيرات فى عام ١٩٩٣ والمشاركة فى عمليات المقاومة ضد جيشها ومن أبرزها عمليات التسلل فى شهر مايو ١٩٩٩، والسيطرة لفترة طويلة على مرتفعات استراتيجية فى جبال الهملايا مما أدى إلى اندلاع الصراع مجدداً.

وكانت البوسنة أبرز محطات وصول الأفغان العرب خلال الفترة من ٩٢ ـ ١٩٩٥ ؛ حيث دخلت مجموعات منهم إليها تحت غطاء لجان الإغاثة التى يديرها أمريكان وأوروبيون مسلمون، ومنذ عام ١٩٩٢ بدأت حالات اللجوء السياسى لقيادات جماعتى الجهاد والجماعة الإسلامية إلى بلدان أوروبا الوسطى التى شهدت تشكيل مراكز لتجميع العناصر الجديدة والقديمة، وتسهيل دخولها إلى البوسنة، بل إن قيادات دخلت بالفعل فقد اعتقل طلعت فؤاد قاسم (أبو طلال القاسمى) فى كرواتيا، ثم اختفى بعد ذلك فى ظروف غامضة وهو من قيادات الجماعة الإسلامية المصرية، وكان أول مؤشر على تحولهم إلى مشكلة البوسنة عندما أعلن على عزت بيجوفيتش أن بلاده لا تحتاج إلى رجال وإنما إلى أسلحة، أما وزير خارجيته فكان أكثر وضوحًا إذ طالب فى عام ١٩٩٣ الأفغان العرب بعدم التدخل فى حرب البوسنة، وقد نص اتفاق دايتون للسلام فى البوسنة على سحب كل القوات الأجنبية فى البوسنة خلال عشرين يومًا خاصة بعد أن روج الصرب لادعاءات مبالغ فيها عن أعدادهم فجعلوها تصل إلى عشرين ألفا، فى حين أنهم فى الواقع لم يتجاوزوا خمسمائة فرد.

ويعتقد البعض أن بناء الوحدات الإسلامية والذى اكتمل فى البوسنة فى ربيع ١٩٩٥، كان على علاقة وثيقة بالأفغان العرب، فتم نشر وحدات استشهادية والتحق بها بوسنيون إلى جانب أفغان عرب، وإن كان البعض يشير إلى أن هذه الوحدات كانت أيضا على علاقة وثيقة بإيران، وقد لجأ بعض الأفغان العرب إلى الجبال والوديان البوسنية، الأمر الذى دفع القيادات العسكرية البريطانية إلى إثارة قضيتهم مع الرئيس البوسنى بيجوفيتش، وطالبت بسحب «المجاهدين الأجانب من قوات البوسنة» لتخفيف الخطر، وأعلنت أنها حصلت على تأييد الرئيس البوسنى، وقد تشددت السلطات الكرواتية والدول المجاورة فأوقفت منح تأشيرات الدخول عبر أراضيها إلى البوسنة حتى لأفراد هيئات الإغاثة الدولية، وتمركز كثير منهم فى ألبانيا وهو ما كشف عن إلقاء السلطات المصرية القبض على تنظيم «العائدون من ألبانيا» فى يناير ١٩٩٩ .

وباختصار فإن حركة الأفغان العرب فى هذا المسار تابعة لمناطق النزاعات والصراعات على المستوى الدولى؛ حيث يصلون إليها لتقديم ما يعتقدون أنه واجب النصرة لإخوانهم المسلمين المضطهدين أو المعتدى عليهم فى كل مكان يستطيعون الوصول إليه، وبذلك يشكلون قوة أو فاعلاً ذا صفة دولية التأثير فى الأزمات والصراعات التى يكون المسلمون أحد أطرافها على المستوى العالمى. . وبحكم كونهم قوة غير حكومية أو شعبية يصعب التنبؤ بأفعالها وتصرفاتها وردود أفعالها وبالتالى يراها الكثيرون من أهم عوامل عدم الاستقرار على المستوى الدولى.

رابعًا: انتشار الأفغان العرب فى أوروبا وأمريكا وإفريقيا: تحرك الكثير من الأفغان العرب فى اتجاهات متعددة بعيداً عما سبق للمعيشة المستقرة والقيام بواجبات إسلامية دعوية وغير قتالية، فبعضهم انضم إلى منظمات الإغاثة الإسلامية، وبعضهم قرر السفر إلى بلدان أوروبية أو إفريقية، وحاول بعضهم دخول إيران التى رفضت وكذا رفضت فرنسا دخول أفغان عرب من الجزائر وتونس، وسافر بعضهم إلى الولايات المتحدة، والتفوا حول الدكتور عمر عبدالرحمن، وفجروا مركز التجارة العالمى فى نيويورك فى عام ١٩٩٣ كما سنرى. وقد بدأت قيادات حركتى الجهاد والجماعة الإسلامية الانتشار فى عدد من البلاد العربية والأجنبية.

خامسًا: ممارسة الأفغان العرب للعنف السياسى فى بلدانهم الأصلية

يعد أخطر وأهم مسارات عناصر ظاهرة الأفغان العرب، وفيما يلى سنتناول أبرز عمليات العنف السياسى التى مارسوها فى البلاد العربية:

١ ـ الأفغان العرب والعنف السياسى فى مصر: يقدر البعض عدد الأفغان المصريين بنحو من خمسمائة إلى ألف فرد، استفادوا من التدريبات العسكرية التى تلقوها خلال سنوات القتال والحرب الأفغانية، ومن حصيلة العلاقات التى توفر لهم الدعم المادى والمعنوى فى صراعهم مع النظام السياسى فى مصر.

وكانت مجموعاتهم بدأت تعود إلى مصر منذ عام ١٩٩٢ إلا أن ذلك لا ينفى وجود ممارسات عنف سياسى لأفراد من الأفغان المصريين قبل ذلك فقد كشفت جهات التحقيق فى قضيتى : **محاولة اغتيال زكى بدر وزير الداخلية السابق** فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٩ **والثانية اغتيال الدكتور رفعت المحجوب** فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ قيام بعض المتهمين فى القضيتين بالسفر إلى أفغانستان واشتراكهم فى القتال هناك، وقد ترافقت مع عودتهم موجة واسعة من الاعتقالات فى صفوفهم؛ إذ تم اعتقال حوالى ١٠٠ عنصر منهم فى الموانئ ونقاط الحدود، بينما تمكن عدد منهم من دخول البلاد، وقد قضت المحكمة العسكرية العليا فى الإسكندرية فى ديسمبر١٩٩٢ بإعدام ثمانية من تنظيم «العائدون من أفغانستان» الذى يضم قيادات من «تنظيم الجهاد» و«حزب الله» و«الجماعة الإسلامية»، وفى نفس الوقت تصاعدت معدلات العنف بصورة غير مسبوقة بسبب عمليات الأفغان المصريين ونجاح بعضهم فى دخول مصر، وكان أبرزها محاولة اغتيال وزير الإعلام المصرى ووزير الداخلية حسن الألفى السابقين، وقد شهد عام ١٩٩٥ وقوع أربع عمليات عنف كبرى خارج الأراضى المصرية، وهى : اغتيال الملحق التجارى المصرى فى سويسرا فى يناير ١٩٩٥ ، وإطلاق النار على موظفة دبلوماسية بمدريد فى أغسطس ١٩٩٥ ، ولم تصدر بيانات تنسب العمليتين إلى الأفغان العرب، وإن كان البعض يؤكد انتساب العمليتين إليهم، **أما الثالثة فهى محاولة اغتيال الرئيس مبارك فى أديس أبابا** (٢٦ يونيو ١٩٩٥) وكانت نقطة التحول التى أظهرت أن المواجهة مع الأفغان العرب انتقلت بؤرتها إلى خارج مصر، مما يعطى لهم عنصر المفاجأة وخضوع العمليات لحسابات أطراف خارجية قد توفر لها دعمًا معينًا، وقد أحدثت محاولة الاغتيال حينئذ توترات بالغة فى علاقة مصر بالسودان وأثيوبيا وباكستان وسرعان ما تم احتواؤه لصالح مزيد من التنسيق والتعاون المتبادل. وقد نفذ محاولة الاغتيال مجموعة من الأفغان العرب المصريين المنتمين إلى الجماعة الإسلامية يقودهم مصطفى حمزة، مما كشف عن تزايد فعالية ومستوى قدرات أعضاء هذه الجماعة الذين تلقوا تدريبات فى أفغانستان.

أما الرابعة فقد كانت تفجير السفارة المصرية فى إسلام آباد فى نوفمبر ١٩٩٥ والذى أشار إلى تحول فى استراتيجية الأفغان العرب العنيفة يتعلق مضمونه بكل من الأهداف والمكان الذى يتم فيه، ويبدو أن وطأة الضربات الأمنية فى الداخل دفعتها إلى التحول للعمل فى الخارج. وإذا كان ذلك يعكس انخفاضًا فى قدرات الأفغان العرب المصريين فى الداخل لكنه يعكس فى نفس الوقت ارتفاعًا فى ذات القدرات فى الخارج مستفيدة من انتشار على المستوى الدولى، إلا أن قوة الأداء فى الخارج قد عادت بنتائج سلبية عليهم؛ إذ ازداد التنسيق الأمنى بين مصر وحكومات أجنبية عدة وبخاصة باكستان والولايات المتحدة. كما تلقى الأفغان العرب أعضاء الجماعات الإسلامية ضربتين قويتين فى نفس العام (١٩٩٥) حيث اختفى أبو طلال القاسمى فى كرواتيا الناطق الإعلامى باسم الجماعة، فقامت بتفجير سيارة مفخخة فى أحد مقار الشرطة فى مدينة ريبكا الكرواتية فى أكتوبر ١٩٩٥ مما شكل تطورًا بارزًا فى عمليات الأفغان العرب، أما الضربة الثانية فقد جاءت بعد إدانة الشيخ عمر عبد الرحمن والمحكوم عليه بالسجن مدى الحياة لتورطه فى الدعوة والسعى لشن هجمات ضد منشآت عسكرية أمريكية ومبنى الأمم المتحدة.

وتشير الضربتان اللتان تلقتهما الجماعة إلى وجود عنصر مشترك بينهما هو دور الولايات المتحدة الأمريكية بينهما، التى اتجهت نحو التشدد فى مواجهة الأفغان العرب؛ حيث تجاوز دورهم الخطوط الحمر فيما يتعلق بالأمن القومى الأمريكى، وهكذا أدى التنسيق الدولى ونجاح قوات الأمن المصرية فى ضبط وكشف العديد من المجموعات إلى تراجع عملياتها داخل وخارج مصر فيما عدا بعض العمليات الخطيرة كان أبرزها حادث الأقصر فى نوفمبر ١٩٩٧، والذى راح ضحيته أكثر من ٦٠ سائحًا..

وقد استمرت قوات الأمن المصرية فى توجيه ضربات قوية للأفغان العرب، كان أبرزها فى يناير ١٩٩٩ حين ألقت القبض على تنظيم «العائدون من ألبانيا» الذين ينتمى غالبيتهم إلى جماعة الجهاد، وأقلية منهم إلى تنظيم «القاعدة» الذى يتزعمه أسامة بن لادن، وتتضمن القضية ١٠٧ متهمين، يُحاكم منهم فقط ٤٤

حضوريًا والباقون يحاكمون غيابيًا، وأُطلق عليهم اسم «العائدون من ألبانيا»، وأخذت القضية اسمها من كون أربعة من قياداتها قد تسلمتهم مصر من الحكومة الألبانية فى يونيو ١٩٩٨، وعلى رأسهم مسؤول محطة التنظيم فى تيرانا شوقى محمد سلامة عطية، والقيادى إبراهيم النجار الذى حكم عليه بالإعدام. وقد تراجعت عمليات الأفغان العرب فى مصر فى السنتين الأخيرتين تحت الضغوط الأمنية والإعلان عن وقف عمليات العنف السياسى من قبل التنظيمات المكونة للأفغان العرب المصريين بعدما تبين لهم عدم جدواه كأسلوب للعمل والتغيير...

٢ ـ الأفغان العرب والعنف السياسى فى الجزائر: شكل الأفغان الجزائريون القوة الثانية من حيث الحجم بعد الأفغان المصريين، وقد بدأ هؤلاء ممارسة العنف السياسى قبل إلغاء نتائج الجولة الثانية فى الانتخابات البرلمانية فى يناير ١٩٩٢ والتى كانت جبهة الإنقاذ الإسلامية على وشك الفوز بها، وقد ترافقت مع موجات العودة من أفغانستان مع هذه الأحداث؛ مما أعطى زخمًا قويًا لحركة الأفغان العرب الذين انضموا إلى الجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا) الأكثر عنفًا فى الجزائر، والتى تأسست فى العام ذاته متأطرة حول جماعة محمد علال المعروف باسم محمد ليفيه (نسبة إلى حى ليفيه فى العاصمة الجزائر)، والذى فرَّ من سجن البليدة فى عام ١٩٨٥، وصعد الجبال مشكلاً النواة الأولى للعمل المسلح فى الجزائر كما تحولت لتأييدها جماعة التكفير والهجرة، التى نشأت فى أفغانستان فى النصف الثانى من الثمانينيات.

وقد توالت قيادات عدة على الجماعة الإسلامية المسلحة بعد نشأتها، منهم عبد الحق العيايدة الذى اعتقلته السلطات المغربية فى يونيو ١٩٩٣، وخلفه جعفر الأفغانى الذى تلقى تدريبه فى أفغانستان حيث أمضى عامين، وشارك فى الحرب ضد السوفييت، وعرف عنه شراسته؛ حيث نسب إلى مجموعته غالبية العمليات التى أودت بحياة الصحفيين والمثقفين، كما كان المسؤول عن خطف أعضاء السفارة الفرنسية، وعن محاولة اغتيال وزير الدفاع السابق خالد نزار، كما اتهم

بعملية تفجير مطار هوارى بومدين عام ١٩٩٣ ، وقد أعلنت الجماعة المسلحة مسؤوليتها عن مقتل ١٢ كرواتيًا فى الجزائر ، كما أنها المسؤولة عن خطف وقتل محمد بو سليمانى أحد كبار قيادات «الإخوان المسلمون» الجزائريين ، كما أعلنت الحكم بالإعدام على قيادة جبهة الإنقاذ الموجودة فى الخارج ، وقد استفاد الأفغان الجزائريون من علاقاتهم الجيدة مع عدد من فصائل المجاهدين الأفغان للحصول على الأسلحة وتدريب العناصر الجزائرية ، وقد امتد نشاطهم لجزائريين ـ وفقًا لتقارير فرنسية ـ إلى داخل الأراضى الفرنسية ، حيث افتتحوا معسكرات للتدريب ؛ وتشير معلومات نشرتها جريدة «الفيجارو» الفرنسية (٦ نوفمبر ١٩٩٤) إلى تقرير أعده جهاز مكافحة التجسس فى فرنسا جاء فيه أن مائة شاب فرنسى إسلامى تلقوا تدريبات عسكرية فى أفغانستان وباكستان ، وقد اتهموا بالقيام بعدة عمليات داخل فرنسا ، وبعد الهدنة التى أعلنها الجيش الإسلامى للإنقاذ منذ عام ١٩٩٧ ، وتراجع العمليات النوعية للجماعة الإسلامية المسلحة ، حاولت قيادات «الأفغان الجزائريين» إعادة تفعيل جبهة العنف فى الجزائر عبر قيادة قمر الدين خربان زعيم الأفغان الجزائريين ذى العلاقة الوثيقة بأسامة بن لادن ، منذ أن كان خربان مسؤولاً عن مراكز لتدريب «الأفغان العرب» فى بيشاور ، وذلك بقصد سحب البساط من التيار الموالى لرابح كبير الذى يدعم الهدنة التى أعلنها «جيش الإنقاذ» ، والقيام بتجميع عناصر التيار السلفى ، ولهذا الغرض تم تأسيس «المكتب التنسيقى للإنقاذ فى أوروبا» بإيعاز من قمر الدين حزبان فى عام ١٩٩٩ ، وأسندت رئاسة هذا المكتب التنسيقى إلى أحمد الزاوى ، وقد أصبح الأفغان الجزائريون عصب «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» من التنظيمات الأكثر قوة وممارسة للعنف فى الجزائر ، وتشير العديد من التقارير إلى عمق العلاقة بين الأفغان الجزائريين وحركة طالبان وأسامة بن لادن .

٣ـ نشاط الأفغان العرب فى السودان والقرن الإفريقى : كانت منطقة القرن الإفريقى مسرحًا لنشاط الأفغان العرب الذين تكثف وجودهم فى السودان والصومال ، فقد تدفق الأفغان العرب على السودان بعد سماح الحكومة السودانية بدخول العرب والمسلمين بدون تأشيرة ، وقد وصل بن لادن إلى الخرطوم قبل

سقوط كابول فى ١٩٩٢، حيث وصلها فى أول أكتوبر ١٩٩٠، والتقى الدكتور الترابى عدة مرات، وركز مشروعاته فى إقامة بنية تحتية، وحصل على مشروع سد الروصيرص من أكبر السدود السودانية، وطريق التحدى وهو الطريق الرئيسى لربط الخرطوم ـ شندى ـ عطبرة، وقامت شركات بن لادن بشق ترعتى كنانة والرهد، واشترك ابن لادن فى بناء مطار بور سودان الجديد، وقدر البعض استثماراته بحوالى ٥٠ مليون دولارحينئذ، كما يذكرون أنه أسس فى السودان معسكرين أحدهما للجهاد والآخر للجماعة الإسلامية وسرعان ما اكتشفت الحكومة السودانية الورطة التى دخلتها بسبب تدفق الأفغان العرب إلى أراضيها، واتخاذها منطلقًا لممارسة أعمال العنف فى مصر والجزائر، وقد اعترف الكثير من عناصر تنظيم العائدون من أفغانستان بأن بن لادن كان يقوم بتمويل عملية عودتهم سراً إلى مصر عبر السودان، وقد استفاد مصطفى حمزة من وجوده فى السودان فى التخطيط والإشراف على عملية الاغتيال الفاشلة للرئيس مبارك فى أديس أبابا فى يونيو ١٩٩٥، فتوترت علاقات مصر بالسودان وفرض مجلس الأمن عقوبات على السودان، قرر على إثرها السودان ترحيل جميع الأفغان العرب من أراضيه، فعاد أسامة بن لادن ومصطفى حمزة إلى أفغانستان، وقد تعرض السودان لهجوم جوى أمريكى فى أغسطس ١٩٩٨ عقب تفجير سفارتى أمريكا فى نيروبى ودار السلام، وتم تدمير مصنع الشفاء بحجة أنه ينتج أسلحة كيماوية.

وتتهم فصائل صومالية فى صراعاتها الداخلية الحكومة السودانية بتهجير أعداد من الأفغان العرب إلى الصومال؛ حيث ينشطون فى حركة الاتحاد الإسلامى، إلى جانب أفغان القرن الإفريقى، والواقع أن منطقة القرن الإفريقى أصبحت محط اهتمام الأفغان العرب فى ظل التضييق الشديد عليهم فى دول العالم المختلفة، وكان الإعلان عن غرق أبى عبيدة البنشيرى القائد العسكرى لتنظيم القاعدة الذى يتزعمه بن لادن فى مايو ١٩٩٦ فى بحيرة فكتوريا قد لفت الأنظار إلى توغل الأفغان العرب فى إفريقيا، والذين نجحوا فى تفجير سفارتى الولايات المتحدة فى كينيا وتنزانيا فى أغسطس ١٩٩٨، وتشير بعض المصادر إلى اشتراك

مجموعة من الأفغان العرب فى تعقب القوات الأمريكية التى كانت موجودة فى الصومال فى إطار عملية إعادة الأمل فى عام ١٩٩٤، وذلك بالتنسيق مع جماعة محمد فارح عيديد «التحالف الوطنى»، حيث شاركت فى عمليات متعددة ضد القوات الأمريكية مما أدى إلى مقتل حوالى ٢٠ جنديًا أمريكيًا، مما دفع القوات الأمريكية إلى الانسحاب من الصومال.

٤ ـ الأفغان العرب فى بلاد الشام: كان أبرز ظهور لعناصر الأفغان العرب فى الأردن مطلع عام ١٩٩٣، عندما وقعت مجموعة من حوادث التفجير فى عدد من دور السينما بالإضافة إلى محاولات اغتيال شخصيات سياسية من الوفدين الأردنى والفلسطينى المشاركين فى مفاوضات السلام، وقد كشف المتهمون نشاطهم فى يناير ١٩٩٣، ويبدو أن هناك تداخلا تنظيميا بين مجموعات الأفغان العرب وما يعرف تنظيم جيش محمد، وفى يوليو ١٩٩٦ اعتقلت سلطات الأمن السورية مجموعة من الأفغان العرب الذين دخلوا سوريا بطرق غير شرعية، من بينهم مصريين وفلسطينيين، وقررت سوريا محاكمتهم داخلها.

٥ ـ الأفغان العرب والعنف السياسى فى اليمن: كان للمتطوعين من أبناء اليمن الجنوبى السابق فى أفغانستان وبيشاور معسكرات خاصة بهم، وظهرت فيما بينهم قيادات منها طارق الفضلى، وتردد الحديث فيما بينهم عن نقل الجهاد إلى اليمن المحكوم من قبل الشيوعيين بعد انتهاء الحرب الأفغانية، غير أن الشيخ عبد المجيد الزندانى ـ الذى أصبح فى وقت لاحق من زعماء التجمع اليمنى للإصلاح المعارض ـ كان يتردد كثيراً على بيشاور، وله تأثير كبير على المجاهدين العرب، طلب من «الأفغان اليمنيين» إلغاء أو على الأقل تأجيل مشروع الجهاد فى اليمن بعد الانفتاح السياسى الذى شهدته البلاد، وقد اشترك بعض الأفغان اليمنيين فى مقاتلة القوات الجنوبية أثناء الحرب الأهلية بين اليمن الشمالى والجنوبى فى يونيو ١٩٩٤، وأيضا مارست عناصر «الأفغان اليمنيين» بعض عمليات العنف السياسى، قامت بها منظمة الجهاد الإسلامى تحت زعامة الشيخ طارق الفضلى، وقد استهدفت بعض المنشآت السياحية، ومنها فندق أقام فيه

عسكريون أمريكيون عاملون فى الصومال فى إطار عملية إعادة الأمل، واغتيال بعض قيادات الحزب الاشتراكى الذى كان «متحالفًا» مع موسكو، وأيد تدخلها فى أفغانستان، وقد عقدت السلطات اليمنية صفقة مع الشيخ طارق الفضلى، وانضم فى إثرها إلى حزب المؤتمر الحاكم، واستطاعت الحكومة اليمنية استيعاب مجموعته، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الأفغان اليمنيين عادوا إلى العمل ضد الحكومة اليمنية فى عام ١٩٩٨ فى إطار تنظيم «جيش عدن الإسلامى»، وقد أعلن تأييده لأسامة بن لادن عقب الغارات الأمريكية على أفغانستان والسودان، وأشاد بتفجير السفارتين، وأبرز عملياته خطف رهائن لا نرى داع لتفصيلها حيث حوكم وأتباعه، كما كانت آخر العمليات التى قام بها الأفغان اليمنيون بالتعاون مع الأفغان المصريين ضرب المدمرة الأمريكية كول قرب سواحل عدن كما أسلفنا؛ وتعتبر اليمن أيضًا محطة أساسية للأفغان العرب وبخاصة المصريون منهم، حيث استقر فيه لفترة بعض القيادات أثناء انتقالهم ما بين باكستان والسودان، وأفغانستان ومصر ويذكر أنه بداية من عام ١٩٩٣ تمركزت فى اليمن مجموعات من قيادات الأفغان المصريين كانوا على علاقة بتنفيذ عملية اغتيال رئيس الوزراء المصرى حينئذ.

٦ ـ نشاط الأفغان العرب فى السعودية: لم يوجه الأفغان السعوديون نشاطهم ضد الحكومة السعودية التى نجحت فى استيعاب معظمهم، إلا أن الأراضى السعودية كانت ساحة لنشاط الأفغان العرب فى مواجهة القوات الأمريكية، وهذا ما سنعرض له بعد قليل.

سادسًا: الأفغان العرب والولايات المتحدة: التحول من التحالف إلى الصراع

مرت السياسة الأمريكية تجاه الأفغان العرب بمرحلتين متعاقبتين ومتناقضتين، حيث تحولت العلاقة من النمط التحالفى إلى النمط الصراعى، النمط الأول (التحالف) كان مبرره وجود عدو مشترك (الاتحاد السوفييتى)، **ومع زوال خطره بانهياره فقد التحالف مبرراته وتحول نحو العداء أى النمط الثانى.**

١ ـ مرحلة النمط التحالفى والمساهمة غير المباشرة فى نشأة حركة الأفغان العرب وتطورها: ففى المرحلة الأولى التى استمرت طوال عقد الثمانينيات تدخلت الولايات المتحدة بكل ثقلها لدعم المجاهدين الأفغان فى مواجهة الاتحاد السوفييتى لاعتبارات استراتيچية، فقد شهد هذا العقد (٧٠ ـ ١٩٨٠) تقدمًا شيوعيًا فى أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا، كان لا بد من وقفه من وجهة نظر الاستراتيچية الأمريكية، ومن ثم دفع الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان فى استمرارية منطق الحرب الباردة، وفرض سباق التسلح، وشرع يؤكد كسر التمدد السوفيتى ولو فى منطقة واحدة؛ تمهيداً لدفعه نحو التراجع، وكانت أفغانستان الساحة الرئيسية للنزال، وعلى ذلك نشأ تحالف عسكرى بين المجاهدين الأفغان والولايات المتحدة لاستنزاف الاتحاد السوفييتى، ولم يكن يدور بخلد صناع القرار فى البيت الأبيض فى حينه ماذا يمكن أن يفعل المجاهدون الأفغان ومؤيدوهم من الأفغان العرب بعد هزيمة السوفييت؛ إذ إنه طوال عقد الثمانينيات كانت واشنطن مزاراً معتاداً لزعماء الجهاد الأفغانى، وأطلقت عليهم وسائل الإعلام الأمريكية كما أسلفنا «مقاتلو الحرية» "TheAfghan Freedom Fighters"، بجانب ثوار الكونترا فى نيكاراجوا، ومقاتلى حركة يونيتا فى أنجولا. وساندت الولايات المتحدة باكستان ورئيسها ضياء الحق الذى دعا المسلمين من كل مكان أن يشاركوا فى الجهاد ضد السوفييت، وبدأ جهاز استخباراتها (سى. أى. إيه) فى تقديم الدعم المالى والتسليحى عبر الجيش والاستخبارات الباكستانية إلى المجاهدين والأفغان العرب، وأقامت المخابرات الأمريكية قواعد عسكرية متطورة ما زال بعضها يعمل بفاعلية فى مجال تدريب وتسليح العرب، ويتركز بعضها فى محيط مدينة خوست على بعد ١٢ كلم جنوب كابول، و ٢٠٠ كلم من الحدود الباكستانية وبالقرب من جلال آباد الشرقية الواقعة على بعد ١٢٠ كلم شرق كابول، ويرى البعض أن الدعم المادى السعودى للمجاهدين الأفغان كان أربعة أضعاف الدعم الأمريكى، كما استفادت المخابرات الأمريكية من جهود الملياردير السعودى «أسامة بن لادن» من أجل تنظيم عملية التطوع وتطويرها، وهكذا فقد التقى الطرفان: الإسلامى

بشقيه الرسمى، وغير الرسمى، والأمريكى على هدف واحد وهو إلحاق الهزيمة بالسوفييت، وقدم كل منهما وسائل الدعم اللازمة، لكن انتهاء الحرب الباردة أدى إلى تغيير الأولويات من الولايات المتحدة والقسم الأكبر من التيارات المسلحة التى ساهمت فى الجهاد الأفغانى، والتى تحولت أفغان عربًا كما أسلفنا فيما بعد؛ فبالنسبة لواشنطن اختفى خطر الاتحاد السوفييتى عدوها الاستراتيچى، وشهدت مؤسسات التفكير وصناعة القرار الإستراتيچى إبان حرب الخليج الثانية وبعدها بحثًا عمن يكون العدو الجديد، وفى حين تحدث «فوكوياما» عن «نهاية التاريخ» حول انتصار الليبرالية الغربية، أكد صموئيل هنتنجتون وجود «صدام الحضارات» وكان يقصد إثبات أن الديمقراطية الليبرالية على النمط الغربى تواجه تحديًا إسلاميًا وكونفوشوسيا، وأن الحروب المقبلة ستدور فى هذا الإطار.

لم تتبنَّ الإدارة الأمريكية رسميًا هذه الرؤية لكونها تدرك جيدًا عائد علاقاتها بدول إسلامية، غير أن ذلك لم يمنعها من أن تصنف الإرهاب فى مقدمة الأعداء الجدد للولايات خاصة الإرهاب الأصولى الذى يقوده الأفغان العرب، والتقت إرادة الولايات المتحدة وكثير من حكومات الدول العربية والإسلامية، والتى بدأت منذ ذلك الوقت تعانى من أحداث العنف السياسى الداخلى التى يقف وراءها الأفغان العرب على اعتبار أن الإرهاب الخطر الذى يتعين التنسيق والتعاون بين الطرفين لمواجهته ـ بل إن «رابين» فى رؤيته حول الشرق الأوسط الجديد طرح نفس الفكرة حول هذا التحدى، كما تجلى فى عقد مؤتمر قمة «مكافحة الإرهاب» فى شرم الشيخ فى فبراير ١٩٩٦ عقب عمليات حماس ضد إسرائيل، ولكن رؤية الطرفين لم تكن متطابقة تمامًا، ففى حين تركز الحكومات العربية جهدها فى مقاومة خطر الإرهاب الداخلى الموجه ضدها، كان تركيز الولايات المتحدة على حماية أمن إسرائيل فى وجه حركات المقاومة الإسلامية دون تمييز بين الإرهاب وحق المقاومة المشروع وفقًا للمواثيق الدولية.

وهكذا تجلى التغير فى الموقف الأمريكى من المجاهدين الأفغان سريعًا بعد خروج السوفييت من أفغانستان، ثم تدعم أثناء حرب الخليج الثانية فى مواجهة

العراق، فبعد الانسحاب السوفييتي فى عام ١٩٨٩ حدث نزاع بين أجهزة صنع السياسة الخارجية الأمريكية؛ فى حين أيدت الخارجية التعاطى مع الملف الأفغانى بالتنسيق والتشاور مع القيادة السوفييتية ـ قبل سقوط الاتحاد السوفييتى ـ دعت الأجهزة العسكرية والاستخبارات إلى دعم الفصائل الأفغانية للقيام بعمل عسكرى حاسم لإسقاط حكم نجيب الله، وبالنسبة للمعونات حدث تخفيض فى قيمة الدعم المقرر للفصائل الأفغانية من ٣٠٠ مليون دولار إلى ٢٥٠ مليون دولار، ثم تقرر قطع هذه المعونات كليًا بالاتفاق مع المملكة العربية السعودية عن الأحزاب التى أيدت غزو العراق للكويت أو التى رفضت التدخل الأمريكى فى الخليج، وتحديدًا الحزب الإسلامى بزعامة حكمتيار والاتحاد الإسلامى بزعامة عبد رب الرسول سياف، وقد صاحب هذا التغير الأمريكى وتبعًا له تغير سعودى وباكستانى انصب فى اتجاه دعم أحزاب أفغانية ضد أخرى، بل والمساهمة فى بروز فصائل جديدة كان أبرزها حركة طالبان، فقد فشلت المراهنة على الحزب الإسلامى بزعامة حكمتيار، ووجدت الولايات المتحدة فى نظام الرئيس برهان الدين ربانى ـ لا سيما بعد الصدام بين حكمتيار وربانى ـ النظام المؤهل للعب الأدوار الأساسية التى تخدم السياسة الأمريكية وأهدافها المتمثلة خصوصًا فى إغلاق معسكرات الأفغان العرب، واعتقال قياداتها التى صارت متحالفة مع حكمتيار(٥٣). وبعد ظهور حركة «طالبان» بدأت الولايات المتحدة وحكومتا السعودية والباكستانية فى المراهنة عليها، خاصة بعد نجاحها فى تقويض نفوذ وقوة حكمتيار. فمنذ ظهور حركة طالبان كان الدعم الأمريكى والباكستانى واضحًا، وذلك عبر تفاهم بين الطرفين منذ عام ١٩٩٤وهوتاريخ ظهور الحركة، ونموها بصورة سريعة (٥٤)، وامتلكت منذ البداية قوة عسكرية تقدر بحوالى ٢٥ ألف فرد، و٢٠٠ دبابة قتال رئيسية، بالإضافة إلى حوالى ٢٠٠ طائرة، وكان هدف الدعم الأمريكى يتركز فى ضبط الأوضاع فى أفغانستان وتحقيق الاستقرار، ومطاردة الأفغان العرب، ووقف تجارة المخدرات وتحقيق الاستقرار فى أفغانستان تحت حكم قريب أو موال لواشنطن، يساهم فى تقوية السيطرة الأمريكية على الثروة النفطية البازغة فى آسيا الوسطى، وإبعاد إيران عن مشروع

أنابيب النفط والغاز الطبيعى من خلال تهيئة ظروف تتيح تمرير هذه الخطوط من تركمانستان إلى باكستان عبر أفغانستان، وذلك كبديل عن مد خط الأنابيب عبر إيران، التى كانت واشنطن تركز جهودها حينئذ فى حصارها.

وفى بداية ظهور طالبان قوضت نفوذ حكمتيار، وأغلقت معسكرات تدريب الأفغان العرب، وأحرقت حقول المخدرات. وعلى الرغم من ذلك أصرت الحركة على إيواء أسامة بن لادن وأنصاره بعد عودته من السودان، كما قاومت بشدة محاولة أمريكية فى ديسمبر ١٩٩٧ لاعتقاله، حين أرسلت مجموعة من القوات الخاصة إلى باكستان؛ تمهيداً لدخول أفغانستان من مناطق الحدود، إلا أن قوات طالبان منعت القوة الأمريكية من دخول أراضيها. والأكثر من ذلك أن الحركة سمحت لأسامة بن لادن بممارسة نشاط سياسى واسع لمناهضة السياسة الأمريكية، سواء فيما يتعلق بتكوين «الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين» أو تنظيم مؤتمرات عدة للتنديد بالسياسة الأمريكية. ولكن تفجير السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا فى ٨ أغسطس ١٩٩٨ جعل قضية إيواء طالبان للأفغان العرب مصدر خطورة بالغ، لاسيما بعد أن قامت واشنطن بتنفيذ عملية قصف صاروخى منفرد ضد معسكرات تابعة لأسامة بن لادن فى أفغانستان فى ٢٠ أغسطس ١٩٩٨.

ويبدو أن الإدارة الأمريكية كانت تعانى ارتباكًا واضحًا فى الرؤية الاستراتيجية فى أفغانستان منذ البداية، **ويتجلى ذلك فيما يلى:**

(أ) لم يكن الدعم الأمريكى للفصائل الأمريكية الأفغانية مبنيًا على أساس استراتيجية واضحة من أجل تأسيس نظام سياسى مستقر فى أفغانستان، فالولايات المتحدة يبدو أنها لم تكن تهتم بالقدر الكافى بخريطة الأوضاع العرقية والقومية وانقسامات الفصائل وتعددها ومشاكلها المختلفة، ولكنها ركزت جهودها فقط فى مواجهة الخطر الشيوعى، كما أن صانعى القرار فى واشنطن لم يعطوا قضية المتطوعين العرب حقها من الاهتمام خاصة بعد خروج السوفييت؛ ولذلك كان الطبيعى أن يتحول «المجاهدون العرب» إلى «أفغان عرب»،

فالولايات المتحدة فى رأى الكثيرين لم تكن معنية بالأبعاد الداخلية للصراع، وإنما انحصر اهتمامها فى الأبعاد الدولية والإقليمية.

(ب) تردد الإدارة الأمريكية بين خيار: الأول مواصلة الرهان على طالبان باعتبارها الحركة الوحيدة القادرة على بسط سيطرتها وتحقيق الاستقرار، أو إسقاط هذا الرهان والتعامل معها باعتبارها تؤوى الإرهاب وتحميه. وإذا كان الرهان على طالبان من وجهة النظر الأمريكية ـ مفيداً فى حصار إيران وتنفيذ مشروعات نقل البترول عبر أفغانستان دون المرور بإيران، إلا أن استقرار الأمور لطالبان قد يؤدى إلى زيادة المد الدينى والإسلامى فى آسيا الوسطى، مما يهز ويقلق الأنظمة الحاكمة فى تلك المناطق. والخلاصة أن الولايات المتحدة قامت بتوظيف قضية الجهاد الأفغانى فى مواجهة السوفييت خلال الثمانينيات، ولكن انتهاء القضية بخروج السوفييت، وانهيار الاتحاد السوفييتى، أدى إلى تغير الرؤية الاستراتيجية، فيبدو أنه بدلاً من الخطر الأحمر برز الخطر الأخضر الذى تمثله من وجهة نظرها الأفغان العرب.

٢ ـ التحول للصراع بين الأفغان العرب والولايات المتحدة :

بتبلور النشأة الحقيقية للأفغان العرب صارت الولايات المتحدة هدفًا لهجماتهم فى عالم غاب عنه الاتحاد السوفييتى، وتفرد فيه ـ القطب الواحد ـ بالنظام الدولى؛ بالطبع فإن عمليات الأفغان العرب ضد الأهداف الأمريكية لا تعدو عمليا سوى تعبير عن نوع معين من الاحتجاج على السياسات الأمريكية تجاه العرب والمسلمين ووجود إرادات يمكن أن تتجمع لممارسة ذلك، ولا تمثل تهديدا حقيقيا للمصالح الأمريكية؛ ولنتناول **بعض الأمثلة من الممارسات التى قام بها الأفغان العرب ضد المصالح الأمريكية:**

(أ) تنفيذ سلسلة من الهجمات المسلحة على القوات الأمريكية فى الصومال فى عام ١٩٩٣ والتى أدت إلى مقتل ١٨ أمريكيًا بالتعاون مع الاتحاد الإسلامى الصومالى، والتى أدت إلى انسحاب القوات الأمريكية فى نهاية الأمر..

(ب) تفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك فبراير١٩٩٥ الذى أدى إلى مقتل ستة وجرح حوالى ألف شخص، وخسائر جملتها حوالى بليون دولار، واعتقلت السلطات الأمريكية أربعة فلسطينيين ومصريين وحكمت عليهم بالسجن لفترات طويلة (جملتها أكثر من ألف عام) وكان المنفذان الرئيسيان رمزى يوسف وأحمد عجاج قد تقابلا فى أفغانستان خلال الحرب ضد السوفييت.

(ج) انفجار الرياض ضد مكاتب بعثة عسكرية أمريكية ترتبط بعقود لتدريب الحرس الوطنى السعودى منذ السبعينيات فى نوفمبر ١٩٩٥أدى إلى مقتل خمسة أمريكيين وهنديين، وإصابة ٦٠ آخرين بجروح، وعمد المنفذون إلى استخدام جهاز تفجير متطور مربوط بجهاز توقيت، مما يشير إلى خبرة عالية وتنظيم جيد، وقد شارك فى التحقيقات ١٩ خبيراً من مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى (أف. بى. آى) واثنان من الخارجية الأمريكية أشاروا إلى ترجيح اتهام الأفغان العرب.

(د) انفجار الخبر فى الظهران فقد وقع فى ٢٥ يونيو ١٩٩٦، وأدى إلى مقتل ١٩ أمريكيين، وإصابة ٣٨٦ شخصًا بجروح بينهم ١٧ سعوديًا و ١١٨ بنغاليًا، و ١٠٩ أمريكيًا و ٤ مصريين وأردنيين، ويعتبر الهجوم الأعنف الذى تتعرض له القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط منذ انفجار بيروت عام ١٩٨٣ وقتل فيه أكثر من ٢٤١ جنديًا أمريكيًا.

(هـ) عاد الأفغان العرب بعد انقطاع لمدة عامين تقريبًا متمثلين فى «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين» التى أسلفنا الحديث عنها إلى توجيه أقوى الضربات ضد الأهداف الأمريكية، ففى ٧ أغسطس تم تفجير سفارتى الولايات المتحدة فى كينيا وتنزانيا، والذى أدى إلى مقتل ٢٦٣ شخصًا من بينهم ١٢ أمريكيًا وجرح أربعة آلاف آخرين، وقد أعلن «الجيش الإسلامى لتحرير المقدسات الإسلامية» مسؤوليته عن تنفيذ الانفجار، ويعتقد أنه الجناح العسكرى لتنظيم القاعدة الذى يرأسه بن لادن، ويقدم البعض مؤشرات تؤكد قيام عناصر تابعة «للجبهة الإسلامية العالمية» بتفجير السفارتين منها البيان الذى أعلنه تنظيم

الجهاد قبل وقوع التفجيرات بيومين، وهدد فيه الولايات بالانتقام بعد تسليم الاستخبارات الأمريكية أربعة من ناشطى تنظيم الجهاد إلى السلطات المصرية، وكما سبق القول فإن تنظيم الجهاد يعتبر جزءاً من «الجبهة الإسلامية لقتال اليهود والصليبيين» التى تعتبر الولايات المتحدة «العدو الأول»، ويتحرك من منطلق فتوى توجب قتال الأمريكيين وضرب مصالحهم، إضافة إلى ذلك فإنه من الملاحظ تصاعد الوجود الجهادى فى إفريقيا، فالرجل الثانى فى التنظيم (نائب الظواهرى) على الرشيدى كان مقيمًا فى مومباسا بكينيا ذاتها قبل أن تغرق به سفينة ركاب فى بحيرة فكتوريا فى مايو ١٩٩٦، كان قد حارب فى أفغانستان وقاتل القوات الأمريكية فى الصومال، وقاد عناصر جهادية كثيرة فى حربها ضد الأمريكان فى إفريقيا وله العديد من الأتباع، الأمر الذى يمكن أن يكون قرينة على توافر الكوادر التى قامت بعملية التفجير؛ وقد ردت الولايات المتحدة بعنف على العملية لتستعيد هيبتها أمام الأفغان العرب، وعندما لم ينجح القصف الصاروخى، قررت وضع أسامة بن لادن على قائمة العشرة الفارين والمطلوبين للعدالة الأمريكية، وذلك بعد أن رفضت طالبان تسليمه، وأعلن مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى لويس رمزى أن بن لادن ونائبه محمد عودة أبو حفص المصرى لم يغادرا أفغانستان، وأكد أن منظمة القاعدة التى يديرها بن لادن واسعة ولديها القدرة والرغبة على ارتكاب عنف عشوائى واسع، وقد اتهمت الولايات المتحدة الأفغان العرب بالقيام بأعمال إرهابية تشمل قتل عسكريين أمريكيين فى السعودية والصومال ورعايا أمريكيين فى كينيا وتنزانيا.

ويمكن الخروج مما سبق بثلاث دلالات بالغة الأهمية: الأولى: حدوث تحول فى نمط عمليات الأفغان العرب عبر التركيز على تلك العمليات الموجهة للولايات المتحدة الأمريكية، فقد توصلت قياداتهم خاصة الظواهرى وابن لادن إلى عدم جدوى العمليات ضد الحكومات داخل البلاد العربية الأخرى، وجدوى توجيهها ضد المصالح الأمريكية والإسرائيلية؛ حيث تكتسب دعما وتأييداً واسعًا من الشعوب الإسلامية التى يعانى بعضها من الحصار الأمريكى، كما أن توسيع العمليات ضد الأمريكيين والإسرائيليين يعنى توسيع الرقعة التى

يمكن للأفغان العرب أن يتحركوا فيها على المستوى الدولى، **الثانية:** أصبحت الولايات المتحدة تعتبر الأفغان العرب العدو الأول لها وجسدتهم فى قيادة أسامة بن لادن، وفى نفس الوقت فإن الأفغان العرب بدورهم يعتبرونها عدوهم الأكبر الذى يقود الغرب الصليبى والاستعمارى ضد العرب والمسلمين.

ويمكن القول: إن خطر الأفغان العرب رمزى ضخمته الدعاية الإعلامية الأمريكية فى سعيها للبحث عن عدو جديد، فالدعاية حولت الأفغان العرب إلى قطب دولى ينازع الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من عدم منطقية المقارنة بين قوة الطرفين، ولكنه من وجهة نظرنا يمثل ولو فى أحد جوانبه وجود إرادة شعبية إسلامية رافضة للهيمنة الغربية والأمريكية تمارس تأثيراً على المستوى الدولى.

الثالثة: تزايد توتر العلاقات مع الأمريكية ـ الطالبانية، حتى قررت الولايات المتحدة فرض عقوبات اقتصادية على طالبان فى ٦ يوليو ١٩٩٩، معتبرة أن سياسة طالبان تشكل تهديداً غير عادى لأمن الولايات المتحدة؛ لأنها تسمح لابن لادن ومنظمة القاعدة باستعمال أراض تحت سيطرتها، ومازالت العلاقات بين الطرفين تواصل تدهورها.

* * *

[كتبت هذه الدراسة ونشرت قبيل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ والتى كانت نقطة تحول فارقة فى حياة النظام الدولى والمشروع الأمريكى وكذلك تنظيم القاعدة، وقد أعقبها الحرب الأمريكية فى أفغانستان وطرد طالبان وإقامة حكومة قرضاى.. وما تزال التطورات مستمرة]. «المؤلف».

* * *

• مصادر الدراسة ومراجعها

أولا: الكتب العربية

١ ـ د. حامد ربيع، الإسلام والقوى الدولية. . نحو ثورة القرن الواحد والعشرين، القاهرة: دار الموقف العربى، ١٩٨٢ م.

٢ د. حامد عبد الماجد، الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية: دراسة منهجية فى النظرية السياسية الإسلامية، القاهرة: دار النشر والتوزيع الإسلامية ١٩٩٢.

٣ ـ د. حامد عبد الماجد، الأنظمة العربية والحركة الإسلامية ـ مع إشارة خاصة للحالة المصرية، القاهرة: مركز الإعلام العربى، ١٩٩٤م

٤ ـ عصام دراز، العائدون من أفغانستان: ما لهم وما عليهم، (القاهرة: الدار المصرية للنشر والتوزيع،) ١٩٩٣ .

ثانيا: بحوث ودراسات منشورة

١ ـ محمد عبد السلام، الأفغان العرب: صناعة العنف العابر للحدود، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية، مجلة السياسية الدولية، ١٩٩٨.

٢ ـ معتز محمد سلامة، انعكاسات الصراع الأفغانى على دول الجوار، فى القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية، د. إبراهيم عرفات (محرراً) جامعة القاهرة؛ مركز الدراسات الآسيوية، ١٩٩٩).

٣ ـ عبد الله الأشعل، المحاولات الإسلامية لمعالجة الأزمة الأفغانية، فى القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية، إبراهيم عرفات (محرراً)، (جامعة القاهرة؛ مركز الدراسات الآسيوية، ١٩٩٩).

٤ ـ ضياء رشوان، مسار وعوائق وقف العنف الإسلامى فى مصر، ملف الأهرام الاستراتيچى، يونيو ١٩٩٩ .

obeikandl.com

ثالثا: تقارير ومقالات وحوارات

١ ـ تقرير الحالة الدينية فى مصر عام ١٩٩٥ (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية بالأهرام، ١٩٩٧).

٢ ـ التقرير الاستراتيچى العربى لعامى ١٩٩٣، ١٩٩٨.

٣ ـ محمد سيد أحمد، الأفغان العرب، الأهرام ١٥/ ٤/ ١٩٩٣

٤ ـ محمد سيد أحمد، تدويل الإرهاب، مجلة الوسط ٢٧ السعودية، ١١// ١٩٩٥، مجلة الوطن العربى، عدد ٩٨٩، ١٦/ ٢/ ١٩٩٦.

٥ ـ حوار مع عبد الله أنس، الوسط، ع ٢٣٣، ٦/ ٥/ ١٩٩٦

٦ ـ حوار مع حميد جول، الوسط، ع ٣٣٢، ٨/ ٦/ ١٩٩٨.

٧ ـ حوار مع سفير أفغانستان فى القاهرة سيد فضل الله فاضل، الوسط ع ٢٣٤، ٢٢/ ٧/ ١٩٩٦.

رابعًا: مصادر أجنبية

1- Amin Saikal , The Rabbani Government, 1992- 1996,in William Maley edit.,) Fundamentalism Reborn: Afganistan and Taliban ,New York University Press,1998,pp., 56-59

2 - Shah Tarzy, "Afghanistan in 1991: A Gilmmer Hope." Asian survey. Vol, 32. No, 2. Februery 1992. P, 191.

3 - Edward Grazda , Afghanistan Dairy :1992-2000, London:power house-Book,2000

4 - ABCNEWS.COM, profile of a private terrorist, Osama Bin Laden-

5 - Anthony Davis,How the Taliban became a military ,in William Maley.

6 - Pamela constable, the washington post, August 21, 1998.

7 - Kathy Ganon, Bin Aaden one of FBI's Most Wanted,yahoo.com.

obeikandl.com